جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

أسرار البيان النبوي
في الحديث عن عيادة المريض

Secrets of the Prophet's statement in talking about the patient's clinic

إعداد
د. حسام عوض الله علي الشامي
مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الرابع (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

أسرار البيان النبوي في الحديث عن عيادة المريض

حسام عوض الله علي الشامي

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، مصر.

البريد الإلكتروني: *hosamalshamy.2034@azhar.edu.eg*

الملخص

فهذه دراسة بلاغية قصدت إلى تحليل جميع ما ورد في السنة الشريفة من أحاديث عيادة المريض، وجاءت بعنوان: (بلاغة التعبير عن عيادة المريض في البيان النبوي – تحليل وموازنة) ، وكما يتبين من العنوان؛ فإن الاستقصاء كان هدفًا ومطلبًا أصيلًا في هذه الدراسة ، رجاء الانتهاء إلى نتائج راسخة ومطردة ، لا تتوفر في الاختيارات والنماذج، ولما كان هذا هو هدف الدراسة، عمدت أولًا إلى جمع كل الأحاديث الصحيحة التي تحدث فيها النبي ﷺ عن عيادة المريض في أكثر من لفظٍ، منها: عاد ، عادني ، يعوده ، زارني ، يعودني ، مرضت ، مرض، أعودك، عدته ، ... وهكذا حتى تيقنت من الوقوف على كل أحاديث عيادة المريض، ثم اعتمدت الصحيح منها فقط . وكان منهجي في التحليل هو وضع كل مجموعة من الأحاديث الشريفة تحت أسلوب بلاغي رأيته الأبرز فيها ، وذلك مما ينظم البحث وييسره ، ويساعد على الوصول إلى خصائص بلاغية خاصة بالبيان النبوي عن عيادة المريض، وقد خرجت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وعدة مباحث وخاتمة وثبت للمراجع وآخر للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: البيان النبوي، أحاديث عيادة المريض، الأساليب البلاغية، التحضيض، الاستفهام.

The eloquence of expressing visiting the sick in the prophetic statement: analysis and comparison

Hossam Awad Allah Ali Al-Shamy

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic .Language, Al-Azhar University, Itay Al-Baroud, Egypt

Email *:hosamalshamy.2034@azhar.edu.eg*

Abstract:

This is a rhetorical study that aims to analyze all the hadiths mentioned in the Noble Sunnah about visiting the sick. It is titled: (The Rhetoric of Expressing Visiting the Sick in the Prophetic Statement - Analysis and Comparison). As is clear from the title, investigation was an original goal and requirement in this study, hoping to reach solid and consistent results that are not available in the selections and models. Since this was the goal of the study, I first collected all the authentic hadiths in which the Prophet - may God bless him and grant him peace - spoke about visiting the sick in more than one expression, including: he returned, he visited me, he visits him, he visits me, I got sick, he got sick, I visit you, I visited him, ... and so on until I was certain of standing on all the hadiths about visiting the sick, then I relied on only the authentic ones. My method in the analysis was to place each group of noble hadiths under a rhetorical style that I saw as the most prominent in them, which organizes and facilitates the research, and helps to reach the rhetorical characteristics specific to the Prophetic statement about visiting the sick. This study consists of an introduction, a preface, several chapters, a conclusion, a list of references, and a list of topics.

Keywords*: The Prophetic Statement, Hadiths About Visiting The Sick, Rhetorical Methods, Incitement, Questioning.*

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد – ﷺ– الرسول الأمين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم محسنًا إلى يوم الدين، **أما بعد** ،

فهذه دراسة بلاغية قصدت إلى تحليل جميع ما ورد في السنة الشريفة من أحاديث عيادة المريض، وجاءت بعنوان: (أسرار البيان النبوي في الحديث عن عيادة المريض) ، وكما يتبين من العنوان؛ فإن الاستقصاء كان هدفًا ومطلبًا أصيلًا في هذه الدراسة ، رجاء الانتهاء إلى نتائج راسخة ومطردة ، لا تتوفر في الاختيارات والنماذج، فعمدت أولًا إلى جمع كل الأحاديث الصحيحة التي تحدث فيها الرسول – ﷺ– عن عيادة المريض في أكثر من لفظ، منها: عاد ، عادني ، يعوده ، زارني ، يعودني ، مرضت ، مرض، أعودك، عدته ، ... وهكذا حتى تيقنت من الوقوف على كل أحاديث عيادة المريض في البيان النبوي.

أهداف الدراسة:

١- الاستقصاء والحصر لجميع ما ورد في البيان النبوي عن أحاديث عيادة المريض .

٢- بيان تنوع الأساليب البلاغية المتوفرة في هذا الجانب من الدارسة ومدى خدمتها للغرض الذي سيقت من أجله كما سيأتي في العرض والتحليل.

٣- توظيف أجوبة المصطفي – ﷺ– المتنوعة في عيادة المريض ؛ نظرًا لاستيعاب جميع المرضي ، فكان يأتي لكل واحد بما يناسبه ، وهذا من بلاغته وحكمته.

٤- الحث على الجوانب الإنسانية التي تتعانق مع عيادة المريض كالصيام ، والصدقة ، واتباع الجنائز ، وإطعام الجائع ، وذكر الآخرة ، مما يؤكد على

التكامل والترابط بين أبناء المجتمع الإنساني.

المنهج المتبع في الدراسة:

المنهج المتبع : هو المنهج الوصفي بمعونة الاستقراء والحصر والتحليل للأحاديث النبوية المتعلقة بعيادة المريض في البيان النبوي، ثم وضع كل مجموعة من الأحاديث الشريفة تحت أسلوب بلاغي بارز، وذلك مما ينظم البحث وييسره، ويساعد في الوصول إلى خصائص بلاغية خاصة بالبيان النبوي عن عيادة المريض.

الدراسات السابقة:

لم تفرد دراسة مستقلة في أحاديث عيادة المريض في البيان النبوي– حسب ما تيسر لي– ، وطبعي وجود بعض أحاديث تتحدث عن المريض في رسائل ماجستير أو دكتوراه ، كما ورد في بعض شواهد البحث .

وقد خرجت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

أما **المقدمة** فقد جليت فيها طبيعة هذه الدراسة وهدفها ومنهجها، وتناولت في التمهيد حديثًا موجزًا عن العيادة في اللغة ، والفرق بين العيادة والزيارة ، البيان النبوي ، دخول الحديث القدسي في شواهد البحث ، والأحاديث المتعلقة بفعل الصحابة في عيادة المريض.

وقد جاءت المباحث على هذا النحو:

المبحث الأول: أسلوب التحضيض.

المبحث الثاني: أسلوب الشرط.

المبحث الثالث: أسلوب الاستفهام.

المبحث الرابع: أسلوب الدعاء.

المبحث الخامس: جملة الحال.

المبحث السادس: خصائص بلاغية.

أولًا: دور الأساليب وتنوعها، ثانيًا: حسن الترتيب في عرض الأحاديث، ثالثًا: اقتران عيادة المريض بغيرها من الحقوق، رابعًا: تنوع أجوبة النبي- ﷺ- وفق أحوال الناس.

وشفعت البحث بخاتمة فيها أهم نتائج الدراسة ، وفهارس متنوعة.

تمهيد

العيادة في اللغة: هو تثنية الأمر عودا بعد بدء، تقول: بدأ ثم عاد، والعودة: المرة الواحدة، وقولهم: عاد فلان بمعروفه، وذلك إذا أحسن ثم زاد، ومن الباب العيادة: أن تعود مريضا، ولآل فلان معادة، أي: أمر يغشاهم الناس له، والمعاد: كل شيء إليه المصير، والآخرة معاد للناس، وتدور حول الرجوع والمرجع والعود، و(عدت) المريض أعوده (عِيادة)، وقوم عواد وعود، وكل من أتاك مرة بعد أخرى، فهو عائد، وإن اشتهر ذلك في عيادة المريض حتى صار كأنه مختص به[1]، وعيادَة المريض: زيارته وافتقاده، وسميت عيادة؛ لأن الناس يتكررون، أي: يرجعون.

الفرق بين العيادة والزيارة : العيادة متكررة وهذا واضح من اشتقاق المادة التي تدو حول الرجوع والعود والتجدد ، أمّا الزيارة فتكون لمرة واحدة ، وليست مقصورة على زيارة المرضي فقط، بل تكون عامة في المناسبات وغيرها.

والفرق بين الرجوع والعود: الرجوع: فعل الشيء ثانية، ومصيره إلى حال كان عليها، والعود: يستعمل في هذا المعنى على الحقيقة، ويستعمل في الابتداء مجازا، قال الزجاج: يقال قد عاد إليّ مِن فلان مكروه، وإن لم يكن قد سبقه مكروه قبل ذلك، وتأويله أنه لحقني منه مكروه[2].

الفرق بين التكرار والإعادة: أن التكرار يقع على إعادة الشيء مرة وعلى إعادته مرات، والإعادة للمرة الواحدة ألا ترى أن قول القائل: أعاد فلان كذا لا يفيد إلا إعادته

---

(١) العين للخليل، د مهدي المخزومي – مكتبة الهلال ، وتاج العروس للزبيدي ، دار الهداية، مادة ع– و– د .

(٢) معجم الفروق اللغوية للعسكري، تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط: الأولى، ١٤١٢هـ ، ٢٥٠ .

مرة واحدة، وإذا قال: كرر كذا كان كلامه مبهما لم يدر أعاده مرتين أو مرات، وأيضا فإنه يقال: أعاده مرات، ولا يقال: كرره مرات[١].

(٣) البيان النبوي كل قول أو فعل صدر من رسول الله – ﷺ– في أحاديثه إما فعلًا أو تقريرًا، أو قولًا .

وفي جملة أحاديث الدراسة حديث قدسي عن رب العزة جل جلاله ، ويدخل كذلك في التحليل البلاغي الأحاديث المتعلقة بفعل الصحابة الكرام في عيادة المريض، وذلك لما شاهدوه من أفعال الرسول – ﷺ– عند عيادة المرضي .

فاصلة:

من خلال ما سبق يتبين أن التعبير بالعيادة أدق؛ لما فيها من العود والبدء ، فعندما تذهب إلى مكان ما وتعود إلى البيت، أيهما أصل ؟ يتضح أن البيت هو الأصل، فإليه المبدأ والعود ؛ لذا كانت العيادة أدق؛ لما فيها من تأصيل الجذور، وقيام العلاقات بين المجتمع الإنساني.

****

(١) السابق : ١٣٨

المبحث الأول

أسلوب التحضيض

للمسلم على أخيه المسلم حقوق وضعها الشرع الحنيف؛ لتتم الألفة والرابطة الوشيجة بين المؤمنين ، فينتج من ذلك مجتمع متماسك متحاب يشد بعضه بعضا كما أخبر بذلك المعصوم – ﷺ– فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ الرسول – ﷺ– قَالَ: (" المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) [(١)]، وكذلك علاقة المؤمن بأخيه المؤمن كالجسد الواحد ، وذلك في الحديث الذي يفتتح به باب عيادة المريض حديثَ النعمان بنِ بشير، عن الرسول– ﷺ–قال: " مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عُضوٌ، تداعى له سائرُ الجسدِ بالحُمى والسَّهر " [(٢)] .

ومن هذه الحقوق: اتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وفك العاني، وعيادة المريض، وإبرار المقسم، وغيرها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – ﷺ– قال: " حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ " [(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، (٦٠٢٦) ، تح: محمد الناصر ، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ ، وصحيح مسلم : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم(٢٥٨٥)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) السابق: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦)، وفي روايةٍ لمسلم: " المؤمنونَ كرجُلٍ واحدٍ "، وفي روايةٍ : " المسلمونَ كرجلٍ واحد إذا اشتكى عينُه، اشتكى كلُّهُ، وإنْ اشتَكى رأسُه، اشتكى كلُّه " (٢٥٨٦).

(٣) صحيح البخاري، باب الأمر باتباع الجنائز(١٢٤٠) .

تتناول الأحاديث مجموعة من الأوامر التي تؤسس المحبة، وتقيم علاقات الود الصادق والأخوة الصافية بين أفراد المجتمع المسلم؛ دلالة على أنهم بنيان واحد يشد بعضه بعضًا عند اشتداد الأزمات وفك الكربات.

والذي يخص البحث من تلك الحقوق هو **عيادة المريض**، وشرعت في بدأ هذه الأحاديث بأسلوب التحضيض؛ للتنبيه على هذا الحق الأصيل، وهو من أهم الحقوق وأعظمها .

وحديثه – ﷺ-: (مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتعاطفهم) مبدأ عام وطريق قويم يرسم علاقة المؤمن بأخيه المؤمن في الأوقات العادية التي تقوم على المودة والمحبة، فالمؤمن قطعة من أخيه المؤمن، والتقرب إليه والمودة والتراحم بينهم يرسخ لتلك المحبة .

هذا الرباط الراسخ المتين بين أبناء الإسلام يجمعهم في شتي بقاع العالم؛ لأن الإيمان يؤلف بينهم ويشملهم كما يجمع الجسد الأعضاء .

وتأتي الأحاديث لتأكيد هذه الحقوق، ولكن أحببت أن أقدم بحديث : (مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتعاطفهم)؛ لبيان غفلة الناس عن هذه الواجبات .

وقد تصدرت جملة من الأحاديث بكلمة(حق المسلم) أو(للمسلم على المسلم) "حق حرمته عليه وجميل صحبته له لا أنه من الواجب، والمراد بالوجوب على الكفاية، يقول الكرماني: هذا اللفظ أعم من الواجب على الكفاية وعلى العين، ومن المندوب، وهذه كلها من حق الإسلام، يستوي فيها جميع المسلمين برهم وفاجرهم، غير أنه يخص البر بالبشاشة والمصافحة دون الفاجر المظهر للفجور" [١] .

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ت: بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت٨/١٣.

و(الحق) كلمة جامعة تختزن كثيرًا من المعاني المتوالدة ؛ فهي اسم من أسماء الله أو من صفاته ، وهي نقيض الباطل وتقال للواجب، وللموجود الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وللأمر المقضي، أي: المفعول، ولليقين الذي لا شك فيه[١] .

والألف واللام في (المسلم) للعموم والاستغراق في الجنس ، والحق هنا قد يكون حق المجموع على المجموع ، أو حق فرد على مجموع كما في حديث (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) [٢] ، وهذا الحديث يشمل من سيدنا رسول الله- ﷺ- إلى قيام الساعة ، كيف يسلم الذى في آخر الدنيا ، فالألف واللام في (المسلمون) للجمع فإساءة الفرد إلى مسلم فكأنه أساء إلى الإسلام ؛ لذا عبر بالجمع، فالقاعدة الكبرى (الدين) حين تري مسلما أساء فقد أساء إلى الدين من أوله إلى آخره ومن أدناهم إلى أقصاهم ، لذا عبر بـ (حق المسلم) .

وجعلها حقوقا في الانتساب إلى الإسلام ، وما يقيم الترابط والتكاتف في بناء المجتمع الإسلامي، والتعبير بـ(المسلم) إشعار برابطة الأخوة الصادقة والعقيدة الراسخة التي تجعل المسلم في رباط وتكاتف مع أخيه المسلم ، وفي رواية (للمسلم على المسلم) و(للمؤمن على المؤمن) وردت بـ (لام الإيجاب)، ولأجل هذا ترى التعبير بالحرف (على) ليفيد التمكن والاستعلاء واستنفار الهمم، والمجاهدة للنفس من دواعي الكسل والكبرياء والغرور؛ لذا كان في (على) مجاهدة في جماع النفس البشرية .

---

(١) اللسان مادة : ح- ق- ق ، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، ط: الأولى – ١٤١٢ هـ، ٢٤٦/١ .

(٢) صحيح البخاري، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١٠).

إضافة(الحق) إلى (المسلم) إضافة تكليف، فالحق منوط بالإسلام، فكما أن هناك (أركان للإسلام) ، هنا (أركان للمسلم) حيث يؤسس حق المسلم ويضع قوانين وصور لقيام العلاقات الاجتماعية بينهم.

فجاء التعريف بالإضافة(حق المسلم) دون التعريف بالألف واللام أو الضمير ، فالإضافة تكليف ومضمونها تشريف ، والتأسيس منوط به التكليف ، وهو ما يعمد إليه المصطفي صلوات الله وسلامه عليه.

والتعبير بالمعرفة (المسلم) دون النكرة للعموم ، وكأنه في غيبة الانتساب إلى الإسلام تضيع تلك الحقوق ، فالحق منوط به الإسلام ، فكان التأسيس الذي ذكرت.

وفي تقديم المسند (المؤمن أو المسلم) على المسند إليه(ست خصال أو خمس أو أربع) من أجل العناية والاهتمام بشأن المؤمن، وإشعار بوجود سياج محكم وطود راسخ أشم يربط المؤمنين بعضهم بعضًا تجاه تلك الحقوق.

ولا عبرة بمفهوم العدد (ست – خمس – أربع) ولا يقصد به الحصر، ويؤتي به أحيانًا على حسب ما يليق بالمخاطب.

والرباط القوي بين المسلم وأخيه يؤكده نسق العطف بين جمله بـ (الواو) التي تدل على التضام وعطف كل جملة على أختها (ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس) للتشريك في الحكم الإعرابي، وسريان الأخوة الصادقة وتغلغلها بين المسلمين كسريان الدم وتدفقه في الجسد، وهذا التناسق والتوافق عن طريق العطف هو عنوان المسلم ومنهجه في التفكير .

العطف هنا للجمع ، فـ (عيادة المريض) معطوفة على(ردُّ السلام) ،(وعيادة المريض) واقعة في جواب المبتدأ (حق المسلم) ، ويلحظ أنه أضاف المريض إلى (العيادة) فأنت تعود إليه فجعله الأصل والمبدأ والعود، فالعيادة ناتج من نواتج المسلم، وركن منه لا يتجزأ ، وأركان المسلم هي الأصل ليست حسب المزاج والحظوظ

والأهواء ؛لذا كان التعبير بحرف الجر(على) لما فيه من كسر شهوات النفس ونزع الكبرياء والغرور.

ودلالة (على) جعلا العيادة أصلًا، والموضوع أكبر من الأمور الشخصية والنزاعات الداخلية، حيث إنه أكبر من ذلك، فهو انتساب للإسلام أأكون مسلمًا أو غير؟ فتبصر أن الرسول – صلوات الله وسلامه عليه– يربطك بالقيمة والمبدأ والأصل في الانتساب إلى الإسلام من عدمه.

ويلحظ في الروايات الأخرى (لِلْمُؤْمِنِ عَلَى المُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ، يَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ)[1] وفي الرواية الأخرى (لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَرْبَعُ خِلَالٍ: يُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ) [2] تقديم جواب الشرط (يعوده– يشمته– يشهده– يجيبه) على أداة الشرط وفعلها (إذا مرض– إذا عطس– إذا مات) للإشعار بوجوب التحقق ، وإلزام المؤمن بهذه الأفعال السديدة.

ومن أجل استحضار الصورة وتجديد نشاط السامع وجعله في بؤرة الحدث تراه يعبر بصيغة المضارعة (يعوده– يشهده –....)

---

(١) وقد ورد في حديث آخر (ستة – أربع)، فعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ–: " لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتَّةٌ بِالْمَعْرُوفِ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَتْبَعُ جِنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " سنن ابن ماجه ٤٦١/١ ، (ضعيف) ، وهو صحيح دون زيادة (وحب) ، وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، عَنِ الرسول – ﷺ– قَالَ: " لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَرْبَعُ خِلَالٍ: يُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ " (صحيح) صحيح ابن حبان: (ت: ٣٥٤هـ) تح : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ٤٧٦/١.

(٢) سنن ابن ماجه (ت: ٢٧٣هـ) باب ما جاء في عيادة المريض(١٤٣٣) تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

ومن التحضيض أيضًا ما ورد عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبَّادَ بْنَ زَاهِرٍ أَبَا رُوَاعٍ، قَالَ سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ – ﷺ– فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِّمُونِي بِهِ، عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ(١).

هذه من مرويات الصحابة والتابعين ، وفيها حث وتحضيض ونقل للأخبار عن طريق السماع من صحابة رسول الله– ﷺ– في السفر والحضر، وتلحظ طريق التأكيد ولفظ الجلالة ، ومرافقته في السفر والحضر، فكان يغرس في نفوسهم ويبعث بتلك الهمم السامية النبيلة من عيادة المريض ، واتباع الجنائز ، والغزو معهم ، ومواساتهم بالقليل والكثير؛ لتحقيق مصالحهم وجلب المنافع لهم .

بالإضافة إلى استحضار تلك الصورة العجيبة من خلال الأفعال المضارعة وحكايتها للتابعين من أمته؛ ليسلكوا نهجه، وينشروا سنته الشريفة .

ولتمكين تلك الحقوق التي تبني المجتمعات في نفوس الناس، تراه يسلك سبيل العطف بين الجمل (يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ) للتوسط بين الكمالين، وإخراجها في نسق متناغم يكشف عن الرباط القويم الذي ينظم علاقة المسلم بأخيه، وبناء مجتمع متكامل متعاون على فعل الخير والسعي في إصلاحه ، وتهذيب أخلاقه.

ويلحظ اقتران عيادة المريض باتباع الجنائز وغيرها، وهذا التناسب بين هذه المعدودات واضح جلي، يقول العلامة المناوي–رحمه الله–: " ما وجه المناسبة بين عيادة المريض واتباع الجنائز ؟ قال: لأن المرض والموت يذكران الآخرة؛ لأنهما من

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥٣٢/١

أسباب الرحيل فيستعد وكأنه يشير إلى أن يكون معظم قصدكم من اتباع الجنائز ذكر الآخرة" [١].

وبعد تأكيد تلك الحقوق الراسخة تأتي الأوامر القولية والفعلية من رسول البشرية وخاتم النبوة للتحضيض والحث على تطبيقها، وذلك في حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ. وَنَهَى عَنِ الشُّرْبِ فِي الفِضَّةِ، وَنَهَانَا عَنْ تَخَتُّمِ الذَّهَبِ، وَعَنْ رُكُوبِ المَيَاثِرِ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالقَسِّيِّ، وَالإِسْتَبْرَقِ"[٢] .

وأيضا ورد بصيغة الأمر: - ﷺ- (عُودُوا المَرِيضَ وَاتَّبِعُوا الجَنَازَةَ تُذَكِّرْكُمْ الآخِرَةَ) [٣].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-:(أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ) [٤].

وفي حديث آخر ورد تقديم فكاك الأسير فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ: (فُكُّوا العَانِيَ، وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَعُودُوا المَرِيضَ) [٥].

جوانب مهمة في حياة المسلم من أجل امتداد رابطة الأخوة في المجتمع الإسلامي منها الحث والتحضيض على عيادة المريض واتباع الجنائز ونصر المظلوم وتشميت العاطس إلى آخر تلك الواجبات .

---

(١) فيض القدير للمناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ، ٤/ ٣٦٦.

(٣) صحيح البخاري ، باب إفشاء السلام (٦٢٣٥) .

(٤) فيض القدير ٢/ ٢٩٧.

(١) صحيح البخاري، باب وجوب عيادة المريض(٥٣٧٣).

(٢) السابق، باب حق إجابة الوليمة والدعوة ومن أولم (٥١٧٤).

وبالتأمل تجد أن صيغة الأمر القولية بارزة في السياق مضافة إلى (نا) الفاعلين دلالة على انتشار تلك الحقوق الواجبة تجاه المسلمين وذيوعها.

وأواصر المحبة والعلاقات الطيبة تتجلي في تلك الجملة المتصلة بالواو وما فيها من التداخل والتشابك دلالة على أنهم جسد واحد ورباط متين يجمعهم يشد بعضه بعضا.

وايثار التعبير بـ(العيادة) ولم يقل:(الزيارة)؛ لأن الزيارة للصحيح، والعيادة للمريض، وكأنه اختير لفظ العيادة للمريض من أجل أن تبدأ منه وتعود إليه؛ لأنها مأخوذة من العود، وهو: الرجوع للشيء مرة بعد أخرى، والمرض قد يطول فيحتاج إلى تكرار العيادة.

و(أل) في (المريض) هنا للجنس، أي: من أصابه جنس المرض، وهي أيضًا باعتبار المريض عامة، فهي باعتبار المرض للجنس، وباعتبار المريض الذي أصابه المرض للعموم؛ لأنها اسم محلى بـ (أل)، والاسم المحلى بـ (أل) يفيد العموم.

ويلحظ اقتران العيادة باتباع الجنائز في الحديث الثاني لما بينهما من الترابط والتناسق فهما يذكران بالآخرة كما ورد قبل ذلك .

وفى الحديث الثالث أمر صريح في قوله: (عودوا المريض) دليل على مشروعية العيادة في كل مرض بدلالة الوجوب على الكفاية، و(أل) في المريض للاستغراق، أي: بأي مرض، وفي كل زمان كما يُؤذن به إطلاق الأمر عن التقييد بزمان.

والاستغراق يدخل فيه جميع الأمراض بدلالة العموم ، ومن العلماء من استثنى الأرمد لكون عائده قد يرى ما لا يراه هو، ولكن الصحيح الثابت عنه العيادة للأرمد ،

فعن زيد بن أرقم قَالَ: (عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَجَعٍ كَانَ بِعَيْنِي)[1].

وقوله: (وأطعموا الجائع) فرض كفاية على مياسير المسلمين ، وقوله: (وفكوا العاني) أي: المأسور لكفَّار، أو لدَّين عليه أداؤه .

ويلحظ اجتماع عيادة المريض وإطعام الجائع لما بينهما من الحاجة والرعاية والاهتمام، وكذلك فك العاني بتخليصه وفك رقبته وإطلاق سراحه ، فكلهم في حاجة لغوث ونصرة وفك كربة .

والأوامر في قوله: (أطعموا، وعودوا ، فكوا) للوجوب، ولكنها على الكفاية، فإذا وجد من يقوم بذلك حصل المقصود.

وأما عيادة المريض فمنهم من قال: إنها مستحبة، ومنهم من قال: إنها فرض كفاية كإطعام الجائع، وفك العاني[2].

الأوامر الثلاثة يربطهم رباط جامع وهو شدة الحاجة، وطلب المعونة، والبداية بالمريض يتناسب مع ظروفه الصحية، فالناس هم الذين يعودونه، وفى هذا جبر لخاطره، وبعث للتفاؤل والتمسك بالحياة ، وعدم اليأس والقنوط إلى آخره .

وإذا نظرت للمرتبة الثانية وجدت المحتاج إلى الطعام؛ ليسد رمقه، ويذهب جوعه، غير أن الجائع ممكن أن يبحث عن شيء قد يُذهب جوعه بخلاف المريض الذي لا يستطيع الحركة نتيجة لمرضه، وشدة ألمه، وفي المرتبة الثالثة يأتي العاني الذي وقع في ذل واستكانة وخضوع ، وفي الرواية الثانية جاء فكاك الأسير في

---

(٣) سنن أبي داود باب العيادة من الرمد(٣١٠٢)(حديث حسن).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٠ /١١٣.

المقدمة؛ وذلك لما يعانيه من المتاعب والخضوع ، والمسلمون اليوم أسرى تحت يد المغتصبين في فلسطين، والمسلمون تاركون لهم غير مهتمين بهم، وهو ذنب عظيم، وجرم كبير، فواجب عليهم نصرتهم وتخليصهم من براثن العدو المغتصب.

وفي أسلوب الأمر- أيضًا- فرار من النار، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) [(١)].

في هذا الحديث تتجلى رحمته - ﷺ- بغير المسلمين، وحرصه على هدايتهم لهذا الدين الحنيف، ولو كان غلامًا صغيرًا في آخر أنفاس حياته، يسارع النبي- ﷺ - إلى دعوته؛ علّه ينجو من النار، تلحظ هذه المسارعة في قول أنس: (فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ يَعُودُهُ) فهذه الفاء تعكس مسارعته- ﷺ- إلى ذلك، فقد أتاه بمجرد مرضه، وفى نص أنس على قوله:(يعوده) لبيان سر زيارته - ﷺ -.

في قوله:(فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ) تجد الفاء أيضًا تدل على تعاقب الأحداث في سرعة بالغة؛ وكأنه- ﷺ- قد استشعر أنه مرض الموت، فبادر بمراده، خوفًا على الغلام، وطمعًا في أن يكون من أهل الجنة ، ولذلك لا نجد للسؤال عن حاله أثرًا .

وقد علل العلماء ذلك بأنه قال:(أَسْلِمْ) عقب قعوده ، وقدّمه على السؤال عن حاله؛ لأنه المهم والمقدم ، وخشية أن يبغته الموت قبل الإسلام فيموت كذلك،

---

(٢) البخاري (١٣٥٦) بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، وباب عيادة المشرك ، وسنن أبي دواد باب في عيادة الذِّمِّيِّ(صحيح).

ويحتمل أنه بعد السؤال عن ذلك، وكان يسيرًا جدًا [1].

وتبصر أن النبي- ﷺ -عرض عليه الإسلام بقوله: (أَسْلِمْ) فحسب، ولم يقل:(أَسْلِمْ تَسْلَمْ) أو (يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ)؛ فهو غلام ، لم يفعل ما فعله اليهود ، وكذلك المقام ضيق والموقف صعب، فالغلام يحتضر فالمهم أن ينطق بالشهادتين لتكون مفتاحه إلى الجنة، ولا يهم التفكير فيما يسلم منه، ولا في الأجر الذى يناله .

ولك أن تتأمل السرعة والمبادرة والمفاجأة عن طريق توالي الفاءات مع أسلوب الأمر (أَسْلِمْ) دلالة على احتدام الموقف والمسارعة في إسلام الغلام قبل فوات الأوان، فالموقف يحتضر فيه الغلام ، فليس الغرض من عيادته أن يدعو له بالشفاء مثلًا، أو الرقية والدعاء، أو غير ذلك كما سيأتي في أحاديث أخرى، وإنما يأتي الحديث؛ ليؤكد على غاية كبرى وهو أن يسلم الغلام، وينجو من النار.

ولم يَرُدّ الغلام على النبي- ﷺ - وإنما نظر إلى أبيه، تأمل قوله:(فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ) وهى نظرة يتأمل فيها ملامح أبيه، ويستفتيه ماذا يفعل؟ ففي العين علامات حَيرة وخوف من والده، وفيها استفهام عن موقفه: هل أطيع أم أعصى؟ وهذا معنى قريب من شبه كمال الاتصال، ولكن الجملة هنا لا تثير سؤالًا، وإنما تثيره نظرة الغلام، وينطق به حاله، يقرؤه الأب في عين ولده، فتأتيه الإجابة في قوله: (أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ) [2].

وفي قوله: (فنظر إلى أبيه وهو عنده) جملة حالية من المجرور بـ (إلى) والرابط كل من الضمير والواو: أي كالمستشير له في طاعة ما أمر به، وجملة(وهو عنده)

---

(١) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن علان الصديقى، دار إحياء التراث العربى، بيروت ٣، ٣٧٩/.

(٢) الخصائص البلاغية في حديث الرسول عن أهل الكتاب صـ: ٢٧ وما بعدها، للباحث/ محمد أبو شهبة رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود ٢٠٠٨م.

حالية مقرونة بالواو، فلم يرد أن يشركها مع سابقتها؛ لتعطي معني جديدٍ لم يرد أن يقرنه مع الأول، وهذا يزيد من شدة الموقف وهول وطأته، وكل جملة جاءت حالًا ثم اقتضت الواو؛ فذاك لأنك مستأنف بها خبرًا، غير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات[١]، وذلك لغرض الاهتمام والتنويه بشأنها.

وقد دعا الرسول- ﷺ - الغلام في حضرة أبيه لأن الله ـ ﷻ ـ أخذ عليه فرض التبليغ لعباده، ولا يخاف في الله لومة لائم[٢] ، وأكاد استشعر أن الرسول- ﷺ - لم يأخذ وجود الأب في الاعتبار؛ لأن الغلام كان في مرض الموت، والموقف يستدعى دعوته للإسلام، ولو كان الموقف يسيرًا لا يستدعى لربما مانع الأب ، ولكن يبدو أنه استشعر حضور أجل ابنه، ولذا بادر بقوله:(أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ).

كما أن دعوة الغلام في ظل هذا الموقف هي دعوة للأب من طرف خفى، وقد قال الوالد لغلامه:(أَطِعْ) ولم يقل:(أَسْلِمْ) وفى ذلك استشعار منه لعظمته - ﷺ- وأنه هو الذى يأمر، وعظمة الفعل مستمدة من عظمة فاعله، وربما يكون هروبًا من إجراء لفظ الإسلام على لسانه، كما في قوله:(أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ)، ولم يقل: أطع نبي الله، أو رسول الله، لأنهم لا يُقرون بنبوته على الرغم من أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولكنه العناد والجحود [٣].

وكانت العرب تنادى الرسول بكنيته هذه من أجل ابنه القاسم، وفى التعبير بـ (أبى القاسم) في هذا المقام إشارة إلى عظيم المرتبة التي أوتيها- ﷺ- وأشار إليها

---

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: الأستاذ/ محمود شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ط: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ٢١٣ .

(٢) عمدة القاري للعينى . جـ٨ /١٧٥ .

(٣) الخصائص البلاغية في حديث الرسول - ﷺ - عن أهل الكتاب صـ ٢٨ .

بقوله: "وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ واللهُ – ﷻ – يُعْطِى ... "[1]، كيف وقد قسم لهذا الخادم له الذى تشرف بخدمته، وحل عليه نظر سعادته تلقينه ما فيه نجاته وسعادته الأبدية، وأعطاه الله ببركة تلك الوجهة إليه ذلك الكمال الأبدي، والعز السرمدي[2].

في قوله : (فَأَسْلَمَ) جاءت الفاء دالة على سرعة امتثاله، وعميق ميله للإسلام لولا خشية أبيه، وفى هذا تذكير بحديثه– ﷺ –(كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)[3] فلا زالت الفطرة نقية توّاقة للحق، ولذا انطلقت بهذه السرعة بمجرد الأمر:" أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ " .

(فَخَرَجَ النَّبِي – ﷺ – وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِى أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) أي: فخرج النَّبِي فرحًا بإسلام الغلام قائلًا: " الْحَمْدُ للهِ " فهو يسند الحمد والثناء لأهله، ويحمده على تكثير هذه الأمة المسلمة، وإنقاذ عبد من النار ؛ فهو الذى أخبر عَلِيًّا بفضل هداية رجل واحد فقال:" وَاللهِ لأَنْ يَهْدِىَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمْ "[4]. وهذه زيادة في رفعة درجته – ﷺ – في تكثير أمته .

قوله: (أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) أي: لو مات على الكفر، وفي الجملة مجاز مرسل علاقته المسببية، أي: من الكفر الذى هو سبب النار، أو مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه أي: الكفر الذى سيؤول به إليها.

*****

(١) صحيح مسلم كتاب: الزكاة ، باب: النهى عن المسألة (١٠٣٧) .
(٢) الفتوحات الربانية . لابن علان ١٠٥٣هـ . ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ٥ /٣٥٠.
(٣) صحيح مسلم كتاب: القدر باب : كل مولود يولد على الفطرة(٢٦٥٨) .
(٤) صحيح البخاري : فضائل أصحاب النبى – ﷺ – باب : مناقب على بن أبى طالب(٣٧٠١).

المبحث الثاني

أسلوب الشرط

الشرط ربط بين جملتين: جملة الشرط وجملة الجزاء؛ حيث يدل على تعلق وقوع الجزاء بوقوع فعل الشرط ، فإن الجملتين تكونان بمنزلة جملة واحدة .

وقد تعدد أسلوب الشرط في شأن عيادة المريض في بيان المعصوم- ﷺ- وذلك تبعا للأغراض والسياقات المختلفة ، فورد أسلوب الشرط (لو- إن- إذا- من – ما).

(لو)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ-:(إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي " [(١)].

الحديث فيه دعوة إلى التواصل وعيادة المرضي، وفيه دعوة إلى إطعام الفقراء والمحتاجين، وهذه أخلاق عامة، ومن حق المسلم على أخيه المسلم؛ لتتم الألفة والرباط المتين الذي لا ينقطع بين الناس.

---

(١) صحيح مسلم ، باب فضل عيادة المريض(٢٥٦٩) .

بُنيت جمل الحديث على شبه كمال الاتصال في بعضها وكمال الاتصال في بعضها الآخر، دعوة للتراحم والتآلف بين بني آدم، فكل جملة تثير تساؤلًا يحمل دهشة واستغرابًا من العبد، ويأتي الجواب من رب العزة حاملًا معاني المعاتبة والتلطف والأنس بخلقه، فهو أعلم بحالهم وما يقوم اعوجاجهم ، وتذكير بأحوال عباده الضعفاء الذين أنهكم المرض وشدة الحاجة والعِوز، وبين كل جملة وأخرى كمال اتصال تصلح كل واحدة منهما مستقلة عن الأخرى، قائمة برأسها.

ترتيب طبيعي بين جمل الحديث، بداية بحال المريض الذي يحتاج لمد يد العون والمساندة والتسلية في مصابه، ولا يستطيع إتيان الناس، ثم التدرج ببيان التلازم والتلاحم بين الإطعام والسقيا.

حوار من رب العزة جل جلاله مع عبد من عباده ، يحمل أثرًا في نفوس السامعين وحثهم إلى ما فيه منفعتهم وصلاح أمرهم ، ومجيء الحديث بلغة الحوار أبلغ من التوجه بالمعاتبة والنصح بطريق السرد العادي.

الحوار يعبر عن موقفين، الأول: موقف رب العالمين من العبد، والثاني: موقف العبد تجاه ما يسمع من خالقه ، والنتيجة ترقب وتتبع من قبل السامعين، وتشويق وحب استطلاع .

بداية تسترعي الانتباه وتستقطب الأسماع عن طريق التأكيد بـ (أن) في مطلع الحديث حيث جاء بمؤكد واحد مراعاة لحال الصحابة لكون الخبر صادرًا عن اليقين المانع من النقيض[1]، واستحضار الصورة من خلال الفعل المضارع (يقول)، كما أنه في (يوم القيامة) إشعار بمهابة الوقوف عند ملك الملوك.

---

(١) الإشارات والتنبيهات ت/ محمد بن عبد العزيز الجرجاني تح د /عبد القادر حسين صـ ٣٢ ، دار نهضة مصر – القاهرة د– ت.

والنداء للبعيد مع قربه من خلقه للتنبيه على أمور تجاهلوها وغفلوا عنها ، وصدّوا عن فعلها، كما أن النداء فيه- أيضًا - تشريف وتعظيم لبني آدم، وتذكيره بما امتن عليه خالقه ، وذلك لبيان تقصيره مع لطف الله به وتداركه برحمته .

ونسبة المرض والإطعام والسقيا إلى رب العزة تبارك وتعالي مجاز مرسل علاقته السببية ، فهو الغني المتفضل على عباده بسابغ مننه وكرمه.

ويتعانق النداء مع الاستفهام في قوله:(يا رب كيف أعودك)؛ لبيان ما يحسه من حَيرة واستغراب تجعله ينكر ذك تمامًا ، كيف ذلك وهو المستغني عن عباده، المتفضل عليهم، والجملة الحالية بالواو (وأنت رب العالمين) للتأكيد على تنزيه مقام الأعلى عن تلك الصفات التي تتعلق ببني البشر .

ثم بدأت النفس تهدأ شيئًا قليلًا عن طريق الاستفتاح والتنبيه والاستفهام في قوله: (أما علمت) وهو تقرير للعبد بفعاله وتقريعه لنسيان واجبه تجاه أخيه المريض، وطريق الاستفهام مملوء بالمعاتبة والاشفاق .

وفي مجامعتها لأداة التأكيد (أن) زيادة في التوكيد لمضمون الجملة بعدها، ومضاعفة في طلب اليقظة من السامع، وجذب انتباهه إلى المعني؛ لأهميته وأثره في بناء المجتمع وتواصله، أو هدمه وقطع ما يجمعه من أواصر وصلات إن لم يؤخذ بعين الاعتبار.

وخطاب ربِّ العزة جلّت عظمته فيه معاتبة، لا مناقشة ومعاقبة[١]، ويلحظ تشريف رب العزة تبارك وتعالي لعبده المؤمن حيث أضافه إلى نفسه [٢] .

---

(٢) فيض القدير ٣٩٦/٢.

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم ١٢٦/٦.

كما يلحظ سر التنكير في قوله: (فلانًا) مع التعريف في قوله (عبدي)، فالأولى إشارة إلى شخص معين لا يترتب عليه شيء ما، كما أن التعريف في الثانية؛ لبيان عظم الجزاء والثواب الجزيل عند منعم متفضل لا تضيع عنده الأعمال ولو مثقال ذرة .

ولما كانت تلك الجملة السابقة مثيرة للدهشة، داعية إلى التساؤل والاستغراب قال العبد: (يا رب كيف أعودك) والرب: المالك والسيد والمدير، والمربي والمنعم ، وهذه الأوصاف تنافي المرض والنقصان والاحتياج والهلاك[1]، فالمرض من الأمور المستحيلة المستبعدة في حق الله تعالي.

والمراد بالعبد" يحتمل أن يراد منه العبد الكامل كما تومئ إليه الإضافة إلى الذات العلى، ويحتمل أن يراد منه مطلق العبد فالإضافة فيه للعهد بدليل قوله: (فلانًا).

وبين قوله :(مرض فلم تعده) وقوله:(أما علمت) فصل عما قبله لكمال الاتصال وإيماء إلى أنه المقصود بالتنبيه عليه وما قبله كالوسيلة إليه" [2] .

ثم انتقل بالتعبير إلى وصف آخر(يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني) والفصل كسابقه لكمال الاتصال حيث تصلح كل جملة للقيام بنفسها مستقلة عما قبلها .

والنداء يشعر بالقرب ومعاتبة الملك لخلقه؛ وتقديم ما يصلحهم ويعلى كرامتهم ومنازلهم يوم القيامة، وفصله كذلك عما قبله لإبقائه في بؤرة الحدث والتنبيه إليه.

ومجيء الإطعام بصيغة الطلب (استطعمتك) استحضار للمشهد في ذهن السامع، فهو يستحثه ويجتهد في تحريكه، ويلح عليه في تذكيره بحق أخيه عليه .

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري ط: الثالثة- ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م. ٢١٧/٥.

(٢) السابق ٣٢٤/٣.

وجملة (قال العبد كيف أطعمك) مبنية على الاستبعاد كسابقتها، حيث إن الاستفهام للاستبعاد كذلك تعجبًا ودهشة من العبد تجاه سؤال الملك عز شأنه.

وجملة (وأنت ربُّ العالمين) مؤكدة لجملة الاستبعاد السابقة، وبينت على تعريف الطرفين بالعلم والإضافة لبيان عظمته ، ورحمته بخلقه .

ثم يأتي التعقيب من الملك جل جلاله في جملتين على حذو واحد تضافرت عليهما الأساليب البلاغية في نطاق عجيب، وحذو مؤثر(أمّا علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده) وفي الجهة المقابلة (أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي).

لمَّا كانت تلك الخصال من الأصول الحميدة التي تتوافق مع سماحة الإسلام ويسر تعاليمه، ودعوته إلى التناصر والتآخي بين المسلمين ، كانت العناية بجذب انتباه السامع في التعبير بـ (أمّا)التي للاستفتاح والتنبيه مكررة داخلة على الفعل الماضي(علمت) وما في تكريرها ومجامعتها لـ (أن) من مضاعفة للتوكيد ، والتقرير للمعني المراد .

فالتعبير بقوله: (أما علمت) في هذه المواضع الثلاثة فيه إنكار للعلم بهذه الأمور (وإنكار العلم بالشيء وصف للجهل به كما ينبغي أن يعلم، وهو عفوية أدبية عند ذوي الحس المرهف، تؤكد في نفوسهم قيمة هذا الشيء الذي أنكره عليهم الجهل بقيمته، فيرون العلم به لازما، ولازم العلم به محتومًا" [١].

قوله:(لوجدتني عنده – لوجدت ذلك عندي) وردت في شأن عيادة المريض، والثانية في جانب الإطعام وفي ذلك إشارة إلى أن الزيارة والعيادة أكثر ثوابًا من

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، د / عز الدين السيد ، دار اقرأ ، بيروت ،ط الثانية ١٤٠٦ هـ ، ١٢٩.

الإطعام والسقي، وسر ذلك أن المريض لا يروح إلى أحد بل يأتي الناس إليه فناسب (لوجدتني عنده) بخلاف ذلك، فإنهما قد يأتيان لغيرهما من الناس[1].

أسلوب الشرط (لو) يستخدم فيما لا تدركه العقول ، وتبصر مواقعه في القرآن الكريم ، وورودها في البيان النبوي ؛ لبيان أن الشرط غير مدرك عقلًا ، تأمل (لوعدته- لوجدتني)، لماذا الصورة؟ لما فيها من مشهد غير متوقع ، فيذهب عنها ما يدور حولها من شكوك واوهام لا تليق بمقام المولي جل في علاه .

وتستخدم (لو) هنا في مقام التحسر والتأنيب بعد فوات الأوان، وحلول ما تحمد عقباه ، فيبين رب العزة جل جلاله تعداد نعمه على خلقه فاتته فتحسر على ضياعها.

فعيادة المريض فيها معية إلاهية ؛لذا يستحب الدعاء عند المريض والميت ، وهذه هي المعية الخاصة(لوجدتني عنده) ، فعيادتك للمريض لأجل الله تبارك وتعالي فلا بد أن تخلو من النفاق والمخادعة وإظهار الشماتة كما يحدث أحيانًا والله المستعان .

كما أن الثواب العظيم لعائد المريض يظهر في قوله:(لوجدتني عنده)أي: وجدت رحمتي، وجدت لطفي وعوني، ويبدو لي أن تلك الجملة لم ترد في البيان النبوي إلا في هذا الموقف، وورودها في البيان النبوي دلالة على فتح باب الأمل ونزع الكبر والغرور من بني البشر، فلا عبرة بغني ولا فقر، ولا صاحب سلطان ومنصب .

ودلالة الظرف(عنده) فيها ملمح عجيب يفيد قرب ربِّ العزة جل سلطانه من هذا المريض، وفيه عِظم الثواب الذي يحصل عليه من عاد مريضًا، ففيه ترغيب وتشويق وتحفيز واغتنام للفرصة قبل الرحيل، فالمرض مهماز الموت، وكم غفل الناس عن أجر عيادة المرضي، حيث يسبقه الموت وهو غافل لا يشعر .

---

(٢) فيض القدير ٢/ ٢٩٧.

فقد ورد في النص السابق ثلاثة أساليب شرطية وهي:(لَوْ عُدَّتهُ– لَوْ أَطْعَمْتَهُ – لَوْ سَقَيْتَهُ) التعبير بالشرط هنا يشرح للمسلم فضل العيادة وعظم ثوابها،" والملاحظ أن جواب الشرط (لَوَجَدتَّنِي عِنْدَهُ – لَوَجدت ذلكَ عِنْدِي– وَجدتَّ ذَلِكَ عِنْدِي) مع عيادة المريض وإطعام الجوعان جاء بـ" اللام "، ومع " السقي" جاء جواب الشرط متجردًا منها:(وجدت ذلك عندي) فما السر البلاغي في ذكر اللام وحذفها؟ وللدكتور/أحمد البقري تحليل لوجود هذه "اللام" وحذفها حيث يقول: "إن هذه اللام" لام التسويف " تدل على تأخير وقوع الجواب عن الشرط وتراخيه عنه كما أن إسقاطها يدل على التعجيل أي أن جوابها يقع عقيب الشرط بلا مهلة"[١] .

ونستطيع أن نتقبل ما قاله في دلالة حذف" اللام " فحذف" اللام "يدل علي سرعة وقوع الجواب عقيب الشرط أما ما قاله العالم الجليل عما تفيده هذه" اللام" من تأخير وقوع الجواب عن الشرط وتراخيه عنه ففيه نظر ولا أدري كيف استقي هذا المعني من ذكر" اللام "؟" جاءت "اللام" للتأكيد علي وقوع جواب الشرط ، وتقرير ذلك في النفوس تنويها بشأن عيادة المريض، وإطعام الجائع .

أما حذف اللام مع السقي في قوله:(أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي) فناظر إلى فضل من سقي عطشانا عند الله ، وأن الأجر والمثوبة علي ذلك حاصلة له بحيث لا يحتاج إلي تأكيد ، وذلك لأن الإنسان لا يستطيع أن يتحمل العطش فقد يهلك سريعًا بسبب ذلك، أما الطعام فالإنسان أكثر تحملًا له من العطش، وعيادة المريض لا يترتب على عدمها هلاكه وإن كان لذلك أثر سيئ على نفسه، فكان حذف" اللام " من الجواب مع " السقي" لفتًا للمسلم لأهمية ذلك وخطورة منع الماء عن الإنسان

(١) أساليب النفي في القرآن الكريم، د/ أحمد ماهر البقري . دار المعارف ط الثانية ١٩٨٤م، ٢٠١ .

فأبان حذف" اللام" من المعاني التي لا نجدها إذا ما ذكرت[١] .

ولتكرار الشرط أثر كبير في إحداث اليقظة الشعورية، والتأثر النفسي لدى المتلقي، مما ضاعف من حجم التأثر بالمعني، ومقدار الإحساس ببلاغة الكلام، ومن ثم كان مراعاة التكرار في النظم عاملًا قويًا من عوامل تأكيد المعني، وتقريره " [٢].

ويلحظ مقام الإيجاز بالحذف في قوله: (لوعدته)أي: في الدنيا(لو سقيته) أي: ماء، وهذا يقتضيه العتاب والإيجاز.

وهذا هو الحديث القدسي الوحيد في هذه الدراسة، وفيه نعمة عظيمة، وجبر لخاطر المريض وأصحاب الحاجات كإطعام الجائع وسقيه، وكل هذه المنافع توطد العلاقات بين الناس، وتجعلهم يدًا واحدة يسودهم العطف والألفة والمحبة .

(إذا)

من المعلوم أن أسلوب الشرط (إذا) لتحقق الوقوع ، فعن أم سلمة قالت: قال لنا رسول الله – ﷺ–:(إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت الرسول – ﷺ– فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة مات، قال: " فقولي: اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنة "، قالت: فقلت: فأعقبني الله منه من هو خير منه رسول الله – ﷺ–)[٣].

---

(١) أسلوب الشرط في البيان النبوي صحيح البخاري للباحث / رضا السعيد فايد كلية اللغة العربية بإيتاي البارود صـ ٦٦٨.

(٣) العمدة لابن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٣ هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، ط: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م. ٢/٢٥، ٢٦.

(٣) سنن الترمذي، تح:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ط: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م ، مصطفى البابي الحلبي – مصر، باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت (صحيح) (٩٧٧).

شرعت السنة المطهرة آدابًا سامية، وأخلاقًا كريمة في عيادة المريض، منها أن الإنسان إذا حضر ميتًا أو مريضًا فليقل خيرًا، ففي هذا الحديث الشريف يأمرنا الرسول- ﷺ- بطيب الكلام ولين الجانب عند حضور المريض أو الميت .

وصدر حديثه بتشويق وترقب عن طريق فعل الشرط (إذا) فبمجرد سماع أسلوب الشرط تتطلع النفس إلي الجواب وتترقبه بلهفة واشتياق، وتذهب النفس فيه كل مذهب، ماذا إذا حضرت مريضًا أو مقبلًا على الموت ؟.

ويلحظ مجيء أداة الشرط (إذا) مع الموت؛ لتحقق وقوعه عاجلًا أو آجلًا، والتعبير بالحضور دون الإتيان أو الزيارة ؛ لما فيها من إيراد الشيء ومشاهدته، واستحضار صورته العجيبة ، وهذا فيه عظة واعتبار، وسرعة في القدوم على الله تعالي قبل أن يدركه أجله؛ ولذا اقترنت عيادة المريض بالموت .

وعندما يأتي الجواب تهدأ نفسه وتستقر وترسخ في وجدانه وضميره (فقولوا خيرًا) وما زالت النفس في حاجة إلى بيان شافٍ ، وينبثق منه سؤال يسأله كل واحد وتحار فيه، لماذا أقول خيرًا ؟ وكل هذه من تهيئة المخاطب ولفت وجدانه ليحصد الجائزة، وتأتي الجملة الخاتمة، وهي لب الحديث وذروة سنامه، قوله – ﷺ- (فإن الملائكة) وهذه الجملة وما قبلها من شبه كمال الاتصال ، حيث إن الجملة الأولي بمنزلة السؤال عما قبلها.

والملائكة تؤمن على دعاء عائد المريض ، وهناك مجالس يستحب فيه الدعاء منها(مجلس العلم ، والمريض ، والاحتضار).

ومدخول الفاء في جواب الشرط نص في التعليل ، فالفاء هنا من عطف العلة على المعلول، وكأن هذا كلامان متميزان أحدهما علة للآخر.

وفي قولها:(اغفر لي وله) توجيه من المصطفي العدنان- ﷺ-لأم سلمة بتقديم الدعاء لنفسها على الدعاء لأبي سلمة؛ لأنها أحق بدعائها، فالميت أفضي إلى ما

قدم، وفي تقديم الدعاء لها أولًا فيه إشارة إلى عدم تهالكها في الأسي والحزن وحثها على الصبر حتي تنال جزاء الصابرين المحتسبين فقضاء الله ماضٍ لا محالة.

وفي تقديم الدعاء لها أولًا دأب المرسلين المقربين، فهذا هو سيدنا نوح وموسي عليهما أتم السلام وأزكي الصلاة قالا في دعاءهما:﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨ ﴾[نوح: ٢٨]﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ ﴾ [الأعراف: ١٥١] .

واستمد من قبس النبوة تلك الجملة العظيمة (فقولوا خيرًا) وجملة (فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون) ، وأولي هذه البشارات يتمثل في الخطي وقطع المسافات لعيادة المريض وتسلية الناس في مصابهم ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم، فكل خطوة تخطوها نحوه ، ما أن تضع رجلًا، وترفع أخرى، تقول الملائكة (طبت وطاب ممشاك)، وذلك ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-:(مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا) [(١)].

ما زال الحديث منصبًا على عائد المريض، وما يحصله من الثواب العظيم والعطاء الجزيل بدعاء الملائكة له ومؤانسته، ولا شك في أن دعاء الملائكة مستجاب، فهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأوكد على استحضار النية، والصدق والإخلاص في العيادة أو الزيارة محتسبًا بغية أخذ العظة والاعتبار من حال المريض الذي يتألم، وعافاك أنت أيها الصحيح فجعله فتنة لك ولغيرك ؛ كي تتعظ وتعود لرشدك وتتذكر نِعم خالقك.

(١) سنن الترمذي باب ما جاء في زيارة الإخوان (حسن) (٢٠٠٨).

يلحظ هنا اقتران العيادة بالزيارة، ودلالة (أو) للتنويع أو الشك من باب تغليب أحدهما عن الآخر، وإنما خصت العيادة بالمريض لما فيها من معني الرجوع والتكرار، فليست عيادته لمرة واحدة، بل تتكرر العيادة فيأنس المريض بمن حوله تخفيفًا وتأنيسًا له في محنته بالقول الجميل، والذكر الحسن، وليست أمورًا اعتادها الناس، والتحدث فيها بما لا يليق ويؤذى عباده.

ويلحظ اختصاص العيادة بالمريض، أمّا الزيارة عامة، ويستحب زيارة الناس في مناسبة أخرى كالأفراح والمسرات وصلة الأرحام في زمن تقطعت فيه أواصر المحبة والتعاون حتي بين ذوي القربي– إلا ما رحم الله – والله المستعان.

وجاء التعبير بلفظ الأخوة إشعار برباط القربي وتذكير الناس بهذا الحق الأصيل الذي تغافل عنه كثير من الناس، والذي بينته في بداية الموضوع أنه من الحقوق الأصيلة للمسلم على أخيه المسلم.

وذكر لفظ الجلالة (الله) يُذكر الناس بأن الأصل في الزيارة أن تكون خالصة لوجهه الكريم، ليس فيها رياء ولا سمعة، ولا من أجل مصالح مشتركة كما هو سائد في دنيا الناس .

وقوله: (طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا) إخبار بطريق التفاؤل أو دعاء له بطيب العيش في الدنيا والآخرة ، وتلك عاجل بشرى المؤمن .

وقوله:(وطاب ممشاك) كناية عن سَيره وسلوكه طريق الآخرة بالتعري عن رذائل الأخلاق، والتحلي بمكارمها. (وتبوأت) أي: تهيأت. (من الجنة) أي: من منازلها العالية. (منزلًا) أي: منزلة عظيمة ومرتبة جسيمة بما فعلت. وقال الطيبي: دعاء له بطيب العيش في الأخرى، كما أن طبت دعاء له بطيب العيش في الدنيا، وحسن نيته وشكر سعيه، وإنما أخرجت الأدعية في صورة الأخبار، إظهارًا للحرص على وقوعه وعيادة الأخيار.

ثم تتفرع من تلك الجملة فيوضات وأسرار ودلالات في ثواب عيادة المريض والتي يحصلها العائد من صلاة الملائكة والدعاء له في الروحة والغدوة صباحًا ومساءً، فعن عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- يَقُولُ: (مَنْ أَتَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، عَائِدًا، مَشَى فِي خَرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ) (١).

فضل آخر يحوزه العائد والمريض معًا من الرحمة والمغفرة ودعاء الملائكة له بعيادة أخيه المريض ، والتذكير برابطة الأخوة الصادقة، ورباط المحبة بين المسلمين في قوله:(أخاه المسلم).

بني الحديث على جملتي الشرط والجواب، صُدرت بجملة فعل الشرط (من أتي أخاه المسلم عائدًا)، وجاءت جملة الجواب متفرعة، جملة تتبعها أختها تأكيدًا على عظم المنزلة التي استحقها عائد المريض كما تتابع النفحات العطرة التي كانت سببًا في دعاء الملائكة له.

وفي رواية الترمذي (ما من مسلم يعود مسلمًا) لإشعار المسلم بحق أخيه عليه ، ومجيء الحال (عائدًا) تأكيد على صدق النية وسلامة القصد، والشرط هنا منصب على ذات العائد وما يحصله من الثواب العظيم والخير العميم.

ثم يأتي الجزاء العظيم والنعيم المقيم مسبقًا (مشي في خرافة الجنة حتي يجلس) تصوير ينبض بالحب وروح التسامح بعيادة أخيه المريض .

وما زال التصوير قائمًا (فإذا جلس غمرته الرحمة) الفاء فيها معني التعقيب والتتابع والسرعة كذلك فمنذ أن يخرج من بيته قاصدًا العيادة فهو في عبادة.

---

(١) سنن ابن ماجه ، باب ما جاء في ثواب من عاد مريضًا(صحيح) (١٤٤٢).

وفي رواية جابر– رضي الله عنه– (من عاد مريضًا لم يزل يخوض الرحمة حتى يجلس فإذا جلس اغتمس فيها) [١].

يخوض الرحمة أي: يدخل فيها من حين يخرج من بيته بنية العبادة، (فإذا جلس اغتمس) أي: غاص، وفي رواية:(استغرق فيها) قال الطيبي: "شبه الرحمة بالماء إما في الطهارة، أو في الشيوع والشمول" [٢]، وفي رواية (استنقع فيها) اجتمع فيها وصار فيها بجميع أجزائه .

وقوله:(غمرته الرحمة) أي: علته وسترته، حيث شبه الرحمة بالماء في الطهارة أو الشمول ثم نسب إليها ما هو منسوب إلى المشبه به من الخوض، أراد بذلك أنه من شروعه في الرواح للعيادة يكون في عبادة فيدر الله عليه فضله واحسانه ما دام في الطريق، فاذا وصل إليه وجلس عنده صب الله عليه الرحمة صبًا أي: يعطيه عطاء كثيرًا فوق ما أفاضه عليه في سلوكه إليه بأضعاف. وتتمة الحديث: " قالوا فهذا الصحيح فما للمريض، قال: يحط عنه ذنوبه" [٣] .

وهذه التتمة تخص المريض حيث يَحُطُّ عنه ذنوبه، فينال الأجر وعظيم العطاء من رب الأرض والسماء كما سنعرفه في حديث أم العلاء حين عادها رسول الله – ﷺ– وهي مريضة.

ثم تأتي البشارات والدعوات من الملائكة الكرام(صلي عليه سبعون ألف ملك في الصباح أو المساء) .

---

(١) مسند أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط ،(صحيح لغيره) الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م. (١٤٢٦٠) .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . للعلامة علي القاري . دار الفكر . بيروت . ط أولي١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ٣/ ١١٤٩.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوى الرياض ط الثالثة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م ، ١/ ٤٠٩

وفي رواية الترمذي عَنْ ثُوَيْرٍ هُوَ ابْنُ أَبِي فَاخِتَةَ، واسمه سعيد بن عِلاقَة عَنْ أَبِيهِ (قَالَ: أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي، قَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الحَسَنِ نَعُودُهُ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا؟ فَقَالَ: لَا بَلْ عَائِدًا) (١).

الأمر فيه حث وإرشاد وحسن توجيه لعيادة المريض، ولاحظ (نعوده) لما فيها من تكرار العيادة والرجوع والانصراف إليه ، والفاء في قوله:(فوجدنا عنده أبا موسي) فيها معني المفاجأة والمباغتة .

فأراد سيدنا على رضي الله عنه أن يستكشف الأمر فقال: (أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا؟) الاستفهام بالهمزة وأم المنقطعة التي للإضراب مع تقديم المفعول للاختصاص، حيث قدمه على الفعل والفاعل، وأضاف (أم) المنقطعة؛ لبيان الغرض من هذا الأمر لما سيترتب عليه من كلام .

فجاء الجواب بطريق النفي (لا) والإضراب بإثبات كلام جديد(بل عائدًا)، وفي هذا دليل على أن العيادة دون الزيارة كما تبين من قبل .

وعندما تبينت الوجهة ساق الحديث السابق بزيادة اسم الشرط (ما) (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً) دون (من) في الحديث السابق، و(من) زائدة لتأكيد عموم الاستغراق، مع التعبير بالمضارع (يعود) استحضار للمشهد، وكأنك تراه بعين بصيرة تجعلك تعيش الصورة العجيبة مستحضرًا عظمتها وتجلياتها دون التعبير بالماضي (عاد) في الرواية الأولي، وتكرار(المسلم) إشعار بذلك الرباط المتين الذي يربط المسلم بأخيه، مع طريق القصر بالنفي والاستثناء(إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ

(١) سنن الترمذي باب ما جاء في عيادة المريض(٦٦٩) (حديث حسن غريب).

خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ) [١] للتأكيد على ثبوت أجر العائد ، واستغفار وصلاة الملائكة عليه في غدوه ورواحه، فهي حلقة ذكر واستغفار ودعاء وصلاة وغير ذلك في صورة لا تنقطع صباحًا ومساء، وذلك لعظم الجزاء والمنزلة العظيمة التي يستحقها عائد المريض، والترغيب في عيادته .

والصباح والمساء والغدوة ظروف للأوقات، فالغدوة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، المساء وهو من زوال الشمس إلى نصف الليل، والعشي: ما بين الزوال إلى الغروب، تواصل عجيب يستحقه عائد المريض من الثواب الجزيل والفضل العميم.

والواو في قوله: (وكان له خريف في الجنة) ممكن أن تكون الواو عاطفة للتوسط بين الكمالين ، وإخراج المشهد في نسق عجيب متناسق .

ومن الممكن جعلها استئنافية بالواو، وإفادة معني جديد لم يرد أن يقرنه مع سابقه ؛ لبيان تعداد الفضل العظيم والنعيم المقيم الذي لا ينقطع .

ومما يخص المريض أيضًا ما ورد عَنِ ابْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ الرسول – ﷺ-: (إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى جَنَازَةٍ "، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَقَالَ ابْنُ السَّرْحِ: إِلَى صَلَاةٍ) [٢].

بوّب ابن حبان رضي الله عنه في صحيحه لهذا الحديث بقوله: " ذكر ما يستحب للمرء أن يدعو لأخيه العليل بالبُرْء ليطيع الله جل وعلا في صحَّته" [٣] .

التفاؤل والأمل تظهر بشرياته من هذا الحديث الشريف عن طريق (إذا) الشرطية التي تدل على تحقق الوقوع، وإيثار التعبير بالمجيء لما في دلالته من جلبة

---

(١) سنن الترمذي (٦٦٩).

(٢) سنن أبي داود، باب الدعاء للمريض عن العيادة (صحيح)(٣١٠٧) .

(٣) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٣٩ .

ووضوح، وصعوبة ومشقة، أما الإتيان ففيه يسر، وربما يكون في خفاء[1]، والتعبير بالفعل المضارع يدل على الاستمرار التجددي، وتتابع العيادة مرة بعد أخرى؛ ليبعث في قلب المريض التفاؤل، والتمسك بالأمل والعطاء، ويلحظ تشوق النفس إلى معرفة الجواب عن طريق اقتران الجواب بالفاء يوحي بالمسارعة والمبادرة .

في قوله:(اللهم اشف عبدك) جملة تبعث في النفوس الاطمئنان وحلول البشر، وفي الإضافة تشريف للعبد بانتسابه إلى خالقه، فهو أرفق بحاله، وأقرب إليه من حبل الوريد.

ورتب على تلك الجملة جملتين (ينكأ لك عدوًا أو يمشي لك إلى جنازة) أو(إلى صلاة)، فنكاية العدو أن تكثر فيه الجراح والإيلام والقتل، وإقامة الحجة والإلزام بالجزم على جواب الأمر، وفي رواية الرفع (فإنه ينكأ) التأثير بالقتل والهزيمة ويغزو في سبيلك.

قوله:(أو يمشي) بالرفع أو بالجزم (يمش)،(لك) لأمرك وابتغاء وجهك، وقوله:(إلى جنازة) لاتباعها للصلاة، وقد وردت رواية (إلى صلاة) .

وإيثار التعبير بالفعلين المضارعين(ينكأ- يمشي) فيه دلالة على الاستمرار التجددي، واستحضار صورته، وهذا يبعث على الأمل والشعور بالراحة والتفاؤل، ودلالة (أو) بين الجملتين للإباحة لوقوعها في جواب الأمر(فليقل).

لكن ما وجه الجمع بين الجرح وقتل الأعداء والمشي إلى الجنازة أو الصلاة؟ يشرع الإمام الطيبي في الجواب قائلًا: "ولعله جمع بين النكاية وتشييع الجنازة؛ لأن

---

(١) الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم د/ محمود موسى حمدان: مكتبة وهبه. ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.:: صـ١٧-١٩

الأول كدح في إنزال العقاب على عدو الله، والثاني سعى في إيصال الرحمة إلى ولي الله، أو لأن المقصود من المرض إما كفارة الذنوب ورفع الدرجات، أو تذكير بالموت والآخرة والعقاب، وهما حاصلان له بالعملين المذكورين(١).

وتلحظ أن أسلوب الشرط مع العطف وصيغة الدعاء تضع المسلم على الطريق الصحيح، والجمع بين الحسنيين، حيث إن دوره لا يقتصر على محاربة الأعداء فقط، بل يمتد إلى تحصيل الرحمة والتذكير بالآخرة في اتباعه الجنائز .

ويلحظ التنويع في الجواب لاستيعاب جميع أنواع المرضي، فيدعو لمريض بالشفاء الذي لا يغادر سقمًا، وآخر بالشفاء مع إتمام الهجرة، وآخر بالدخول في الإسلام، وكل هذا من فيوضات الرحمة ، وعطاء النبوة.

(من)

من المعلوم أن (من) يُسأل بها عن العاقل، و(إذا) لتحقق الوقوع، و(ما) لغير العاقل، وقد وردت في جملة الأحاديث .

فعن ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ- ﷺ-عَنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ- قَالَ: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا)(٢)، وزيدت في رواية مسلم (حتي يرجع)(٣) .

وردت بصيغة التأكيد مع (إذا) الشرطية في رواية الترمذي فعَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ الرسول - ﷺ- قَالَ: (إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ) (١).

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/ ١١٣٧.
(٢) صحيح مسلم باب فضل عيادة المريض(٢٥٦٨).
(٣) السابق (٢٥٦٨).

جاءت هذه البشارة في ثوب الشرط وذلك لما في طبيعة أسلوب الشرط من إثارة وتشويق" إذ يتطلع المخاطب عند سماع الشرط إلى معرفة جوابه ، ويظل مترقبًا له حتى يقف عليه فيتمكن في ذهنه"(٢).

والتعبير بأسلوب الشرط (من) للعموم ليدخل تحتها جمع كثير من المخاطبين، فيعم النفع وينتفي الضرر، والشرط في قوة كلمتين الأولى: الدلالة على الأناسي بحكم الوضع ، فهي شاملة لكل أفراد جنس المخاطبين رجالًا ونساء، والحديث عن حكم شرعي ، والأحكام الشرعية يخضع لها كل أفراد المسلمين مهما كان شأنهم ووضعهم .

والثانية : الدلالة على الشرط لتضمنها معنى" إن"(٣)، ويتناسب مع شمولية "من" لكل أجزاء الأناسي كون "من" مبهمة الزمن، فـ "من" لا تدل على زمن معين معروف البداية والمقدار(٤).

وفي دلالة (مَنْ) على الشرط تتشوق النفس إلى معرفة الجزاء حيث إن الخطاب منصب على ذات العائد وما يحصله من الثواب وعظم الجزاء .

وجاء التوكيد في رواية أخري بطريق التأكيد (إن المسلم)، وأسلوب الشرط (إذا) ليفيد تحقق الوقوع، وإثبات الأجر، كما أن تكرار لفظ (المسلم) إشعار برباط الإخوة الصادقة، وتتابع الرحمات التي تتنزل على عائد المريض مادام في عيادته، وحرف

→→→

(١) سنن الترمذي باب ما جاء في عيادة المريض (صحيح)(٩٦٧).

(٢) الحديث النبوي " طرقه وأغراضه، د / بسيوني فيود مطبعة الحسين الإسلامية ط أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م، صـ:٨٨.

(٣) ينظر : رسالة المباحث المرضية . لابن هشام المصري . صـ٣٤ وما بعدها . ت. د / مازن مبارك . دار ابن كثير . ط أولى ١٩٨٧م .

(٤) الكتاب الكتاب . سيبويه . ت. أ عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي القاهرة ، جـ٤ / ٢٢٨ .

العطف (حتي) يؤكد تلك الغاية من أولها وحتي نهايتها، وهذا ثواب عظيم يرتبط بالمسلم منذ انعقاد نيته وخروجه من بيته قاصدًا التخفيف عن المريض وإيناسه بما يخفف عنه وطأة التعب والقلق فهو في بساتين وأودية الجنة حتي يرجع.

فعائد المريض على بساتين الجنة، وعائد المريض في الحقيقة يكون عائدًا له في داره في الدنيا، لكن لما كانت عيادة المريض سببًا من أسباب دخول الجنة، عبر الرسول- ﷺ- بالمسبب وهو دخول الجنة، والتنعم بثمارها، وأراد السبب الداعي إلى تحصيل تلك الكرامة، فأطلق المسبب إشارة إلى المجازاة عن السبب، وذلك في قوله: (خُرفة الجنَّة) وفي التعبير عن المجاز إفراغ على المعني حسًا جديدًا واستثارة لمكامن الشوق وفيه مزيد من القوة والتأكيد .

كما أن في التعبير عن المعني الواحد بصور مختلفة " إفصاح عن المشاعر وتعبير عن العواطف ، وصيانة للغة والتراث "[١] .

ووجه الزيادة في رواية الإمام مسلم (وما خرفة الجنة قال جناها) أن التعبير بـ (ما) لغير العاقل، ويسأل بها عن كل شيء ما لم يُعْرف، فمع أن (الخرفة) معروفة، لكن لما أضيفت إلى الجنة ظن الصحابة معني جديد لم يعرفوه، فجهلوا المراد منها فسألوا بما ذكر.

وايثار التعبير بـ (الخرفة) دون غيرها؛ لبيان الفضل والنعيم الذي يناله عائد المريض حين يعود مريضًا لما تحويه الكلمة من فيوضات كثيرة، فتدور المادة حول الاتساع وجني الثمار الطيبة ، ومنه خَرَفَ الرجل يَخْرُفُ أي: أخذ من طُرَف الفواكه، والاسم الخُرْفة، والخرف: فساد العقل من الكبر خرف الرجل يخرف خرفا فهو خرف

(١) مباحث في طرق علم البيان صـ ٢٩٢ ، أد / رفعت السوداني- حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية .

وامرأة خرفة، والخروف: الحمل الذَّكَرُ، وجمعه الخِرفانُ، والعدد أخرفة، واشتقاقه أنه يخرُفُ من هنا وهنا وبه سُمِّيَ الخريف، لأنه يُخْرَفُ فيه كل شيء أي يُؤْخَذُ ويُجْتَنَي في حينه، والطريق الواضح البين، تقول العرب: تركته على مثل مخرفة النعم أي على أمر واضح مكشوف، ومنه فصل الخريف ، إنما سمي الخريف خريفًا، لأنه وقت خَرْفِ النخل، أي: وقت اجتناء ثمره. فجُعل ذلك الفعل اسمًا للزمان، ونُسب إليه، وسمي الخريف خريفًا، لتعجُّلِ مطرِهِ ونباتِهِ(١).

(قال جناها) أي: ما يجني من الثمر وجمعه، والمعنى: أنه بسعيه إلى عيادة المريض يستوجب الجنة ومخارفها والعيادة لما كانت مفضية إلى مخارف الجنة سميت بها، وروي «كان له خريف في الجنة» وروي في خرافة وخروف ومخروف ومخارف الجنة، وروى كان له خريف أي: مخروف .

وجاء أسلوب الشرط (من) فيما يخص المريض بالشفاء والمعافاة التامة بإذن الله تعالي، فدعاء عائده مستجاب يشمله ويغمره إذا جدد النية وأخلص في القصد، ومن ذلك ما ورد عن ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الرسول- ﷺ- قَالَ: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ)(٢)، وفي رواية الترمذي (مرّات)، وبناء الفعل للمجهول (عُوفي) (٣).

دعاء العائد للمريض أمر مشروع للتخفيف من وطأة الألم، وتسلية للمريض في محنته، بشرط أن يخلص النية في الدعاء، ويستحضر رحمة الله تبارك وتعالي،

---

(١) اللسان والتاج مادة خ- ر- ف.

(٢) سنن أبي داود باب الدعاء للمريض عند العيادة(صحيح) (٣١٠٦).

(٣) سنن الترمذي (صحيح)(٢٠٨٣).

والدعاء للمريض كما قلت: تخفيف وإيناس للمريض، وكذلك تذكير للصحيح بنعم الله ومننه السابغة أن عافاه مما ابتلي به أخيه المسلم .

والتعبير باسم الشرط (من عاد مريضًا) منصب على الذات دون النظر للفعل الذي يقوم به، والتعبير بالمضي دلالة على تحقق الوقوع، وبلوغ المقصود .

والقيد والاحتراس في قوله:(لم يَحْضُرْ أجله) له موقع حسن مقبول ، لأن في الوقت سعة وفسحة من الوقت إذا لم يحضر الأجل، أي لم تتم مدة عمره، وهنا ينجع الدعاء، ويذهب الداء، وهو دعوة لكل إنسان أن يبادر بتحقيق هذا الحق الأصيل قبل فوات الأوان، أما إذا حضر الأجل فلا ينجع الدواء ولا تجدي القراءة.

والذي يدفع البلاء هو صاحب العرش العظيم الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والتقييد بقوله: (سبع مرارًا) مراعاة لحال المريض الذي يتعلق بصيص الأمل والنور في عائده، والرجاء في الاستجابة ؛ لأن الذي يُؤمن على دعائه الملائكة الكرام .

والتأكيد والرجاء في الشفاء(أن يشفيك) ثقة في موعود ربِّ العرش العظيم الذي يستجيب الدعاء، ولا يخيب طالبي رضاه وكرمه، والإلحاح في الدعاء يُدخل على المريض الأنس والتفاؤل، فيتحقق المقصود، ويرجي المأمول ، ويحس المسلم تجاه أخيه المسلم بالمحبة والتسامح وأنه جسد واحد، وقلب واحد، وهذا يحقق مزيدًا من الترابط وتقوية الأواصر والعلاقات بين الناس.

والقصر في قوله:(إلا عافاه الله من ذلك المرض) فيه تأكيد الرغبة، وصدق النية، وإخلاص الدعاء، وفيه قصر المعافاة على المريض قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا، وفيه معني التقييد بمعافاته من ذلك المرض الذي شمله.

وفي رواية (إلا عُوفي) بالبناء للمجهول توسيع لدائرة العفو والبرء والمعافاة مما ابتلي فيه من جميع الأمراض، وهذه الرواية تعضدها رواية أخري سيأتي ذكرها

في أسلوب الدعاء(شفاء لا يغادر سقما) أي: شفاء تامًا، يعلمه الإنسان أم لم يعلمه، فيدخل فيها جميع الأمراض ظاهرها وباطنها، اكتشفت أم لم تكتشف، وهذا من إعجاز بيان النبوة صلي الله على معلم البشرية.

ومما يخص المريض كذلك عن أم العلاء، قالت: (عادني رسول الله – ﷺ– وأنا مريضة، فقال: أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه، كما تُذهب النار خبث الذهب والفضة)(١)، وفي رواية: كَمَا يُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ.

من الأوامر الفعلية للحبيب– ﷺ–عيادة النساء من أجل التخفيف عنهن وتسليتهن، وحمل البشارات لهن إذا صبرن وتحملن ما أصابهن من ملمات ومكابد.

بشارة من الرسول الكريم لأم العلاء – وهي عمة حكيم ابن حزام، وكانت من المبايعات– حال عيادتها وهي مريضة، وأشار فعل الماضي(عادني) إلى تحقق الوقوع، وتكرار فعل العيادة لكثير من المرضي قبلها .

وجملة الحال(وأنا مريضة) جاءت مقترنة بالواو؛ لإفرادها بمعني جديد لها أهمية، وهي بيان حالتها حين عادها رسول الله– ﷺ– متلبسة بالمرض تبث شكواها، وتبعث بأنينها، فجاءت البشارة عن طريق فعل الأمر(أبشري) وهو للتفاؤل ونشر السرور، ودلالة الكلمة بجرسها وصوتها المتفشي تبعث بالأمل والتفاؤل بعد الصبر وقوة التحمل، والنداء لفت للانتباه وإشعار بالقرب، وإطلاق اسمها شرف كبير يبعث في قلبها السعادة والسرور بعد الحزن والكدور.

وبعد تهيئة الأسماع بالبشارة ، والنداء مع الأمر، يأتي التأكيد بأقوى المؤكدات (فإنَّ مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة) لبعث الطمأنينة ، وتثبيت قلبها ، ثقة بموعود الله تبارك وتعالى.

---

(١) سنن أبي داود باب عيادة النساء (صحيح)(٣٠٩٢).

تصوير بديع يبعث الطمأنينة والسكينة والتفاؤل بصورة تشبيهية، حيث شبه إزالة الخطايا من المسلم حال مرضه بالنار التي تذهب خبث الذهب والفضة، وهي من تشبيه المحسوس بالمحسوس حيث تقترب من الوجدان، وتستقر في الأبدان.

وفي الرواية الأخرى (تذهب النار خبث الحديد) شبه إزالة المرض ومحوه من العبد بتجلية النار خبث الحديد بجامع الإزالة والمحو في كل من المريض وتنقيته من الخطايا والذنوب، والحديد والذهب والفضة وما يطرأ عليها من صدأ أو تبديل وخبث.

ويتعانق هذا المعني مع قول الرسول- ﷺ-(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)(١).

وما ورد أيضًا عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ- ﷺ- وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-:أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قَالَ: فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ-:(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا) وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ: فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي(٢).

وهذا يدل على أن أمر المسلم كله خير وبركة وعطاء، فكل ما يصيب المسلم من أي ضرر يلحق به يكون مغفرة لذنوبه، ويمحو خطاياه ، ويعتق لرقبته من النار، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده .

---

(١) صحيح البخاري ، باب ما جاء في كفارة المرض(٥٦٤١).

(٢) صحيح مسلم باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض (٢٥٧١) .

المبحث الثالث

أسلوب الاستفهام

الاستفهام يثير في النفس التفاعل والمشاركة وإثراء الحوار، ويبعث في النفس التشويق، واستنفار للهمم والعزائم، وحب الاستطلاع، ومن ذلك ما راوه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – ﷺ–: (من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله – ﷺ–:ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)[1] .

ملمح تربوي يعلمه الرسول الكريم– ﷺ– صحابته الأخيار والملاحظ في سيرة رسول الله – ﷺ– أنه كان يوجه أصحابه إلى منابع الإيمان، ثم يتفقدهم ويتابعهم ويطمئن على مدى تعاملهم معها، والحديث الشريف يكشف عن فضائل سامية لسيدنا أبي بكر الصديق– رضي الله عنه، وكان الرسول– ﷺ– يتفقد أحوال أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ويسألهم عن قيامهم بأفعال الخير المختلفة .

وقام الحديث الشريف على الأسلوب الإنشائي المباغت؛ حيث صدره الرسول الكريم– ﷺ– بأسلوب استفهامي يثير الانتباه ويدعو إلى التأمل واستنفار الهمم.

وإيثار التعبير بالاستفهام الصريح دون غيره للفت الانتباه إلى ما بعده من الكلام فيكون السامع على استعداد لتلقي ما يُلقي إليه .

فـ (من) في الحديث الشريف استفهامية تتطلب جوابًا، والمجيب حاضر بين صحابته الكرام ومسلط عليه الأضواء، وإذا كان الأمر كذلك فالمكافأة ستكون أمام أعين الجميع، وهنا عنصر المفاجأة والترقب من جميع الحاضرين .

---

(١) السابق باب : من جمع الصدقة وأعمال البر، وباب : فضائل أبي بكر الصديق(١٠٢٨).

والصيام والصلاة والصدقة توصل صاحبها إلى الله عز وجل قال بعض السلف: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق والصيام يوصله إلى باب الملك والصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك .[١]

وتقديم الجار والمجرور(منكم) للاهتمام والتأكيد، والصيام سر ورباط متين بين العبد وربه، فمن ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب"[٢].

فهذه القصة، تدل على أن الصديق رضي الله عنه كان حريصًا على اغتنام الفرص، وتنويع العبادات ولما وقع السؤال من الرسول- ﷺ- مفاجئًا دل ذلك على أن أيام أبي بكر رضي الله عنه كانت حافلة بالطاعات.

ولا شك في أن الصديق لما سُئل لم يكن مخططًا بأن يقوم بهذه الأعمال من أجل السؤال، وإنما كان ذلك يومًا طبيعيًا من أيامه .

وكان من الممكن أن يسكت ولا يتكلم ؛ لعدم إفساد تلك الأعمال ويُداخلها الرياء ، ولأنها أسرار بين العبد وربه ، لكنه مقام التعليم وتوجيه جموع المسلمين لأمور مهمة لا تتأتى تجليتها إلا بهذه الأسئلة المفاجئة والتي تأتي بدون ترتيب ولا تهيئة لجواب ، فآثر الرد هنا ، قال سيدنا أبو بكر الصديق في الجواب على السؤال (أنا).

قال الطيبي: ذكر(أنا) هنا للتعيين في الإخبار وللاعتداد بنفسه كما يذكر في مقام المفاخرة، وهذا هو الذي كرهه الصوفية، وقد ورد " ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴿١١٠﴾﴾

(٢) لطائف المعارف ابن رجب الحنبلي ١٦٧/١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر . ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٣) فيض القدير ٢/ ٢٩٧.

[الكهف: ١١٠] ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦] " إلى غير ذلك[١].

ويلحظ أن الذي صرح به الصديق في جوابه كرهه الرسول- ﷺ- في حديث آخر، وتلكم هي براعة التعبير وسمو التفكير في الكشف عن بلاغة الرسول الكريم- ﷺ- وأنها جاءت في السمو والرفعة وصفاء التعبير وانتقاء العبارات الجزلة الرصينة بعد كتاب الله عز وجل.

فجاء الرد في موقف آخر بذكر الجواب ولكنه مذموم؛ لأن المقام مقام إخبار، وهناك في بيان الأجر والتشويق والتلهف والإصغاء، وهذا ما يميز أسلوب الاستفهام فتبقي النفس متشوقة للجواب بعد تهيئة الأسماع ولفت الانتباه.

"والرد المذموم في حديث جابر رضي الله عنه حيث أجاب بعد دق الباب قائلا: (أنا)، فلعدم التعيين في مقام الإخبار. والحاصل أن قول (أنا) من حيث هو ليس بمذموم، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٣].

" وفي قوله:- ﷺ- (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)[٢]، وإنما هو يذم باعتبار إخباره مما يفتخر به كقول إبليس:﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] إذا صدر عن إثبات النفس ورعونتها وتوهم كمال ذاتها وحقيقتها كما صدر عن إبليس، ونحو ذلك من نحو أنا العالم وأنا الزاهد وأنا العابد، بخلاف أنا الفقير الحقير العبد المذنب وأمثال ذلك.

وأما «حديث جابر في الصحيح أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في دَين كان على أبي فدققت الباب، فقال: " من ذا؟ " فقلت: أنا، فقال: " أنا أنا " كأنه كرهها» ،

---

(١) مرقاة المصابيح ٤/١٣٣٥ .

(٢) صحيح مسلم باب تفضيل نبينا – ﷺ-(٢٢٧٨).

فسبب كراهته لها الاقتصار عليه المؤدي إلى عدم تعريفه نفسه، ثم لو عرفه بصوته لما استفهمه فسقط ما ذكره ابن حجر السؤال والجواب هنا من أصله"[١].

فذكر لفظ (أنا) في مقام الإخبار مطلب أصيل ومشروع، وتعبير عن شخصية المتحدث، أما الذم فيلحق بالشخص في مقام الافتخار والمكابرة، ويستحب في مقام الخضوع والإذلال والتقصير أمام الملك جل جلاله.

كما رُوعي جانب التناغم والتناسق بين تلك الجمل، واقتران عيادة المريض مع اتباع الجنائز والإطعام كما سياتي في أحاديث أخرى.

وقوله: «فمن تبع منكم اليوم جنازة» ؟ " أي: قبل الصلاة أو بعدها " قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا» ؟ "

كما اقترن الإطعام مع عيادة المريض مرة أخري (من أطعم منكم اليوم مسكينًا – من عاد منكم اليوم مريضًا) وتكرار الحذو الواحد بين الجمل يجعلها متناسقة متناغمة تعلق بالأذهان وترسخ بالوجدان .

وحُق للصديق– رضي الله عنه– أن يفخر في كل مرة ، ويقول(أنا) دون غيره ، وهذا المقام من أجل المقامات التي يتباهى بها حثًا واستنفارًا لهمم الجلوس من صحابة المختار .

وتأتي المكافأة من رسول البشرية ومعلم الإنسانية– ﷺ– (ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)، وفي رواية:(مَا اجْتَمَعَ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي رَجُلٍ فِي يَوْمٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ)[٢] .

---

(٣) مرقاة المصابيح ٤/١٣٣٥ وما بعدها .

(١) الأدب المفرد للإمام البخاري تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ،باب عيادة المرضي (٥١٥) (صحيح).

تؤكد على بث روح التفاؤل واستنفار العزائم والحث على ما يصلح به حال المسلم.

بأقوى طرق القصر (النفي والاستثناء) في الأمور الحاسمة القاطعة ؛ للتأكيد على هذا الحق الأصيل للصديق – رضي الله عنه– جزاء لحسن صنيعه وبقاء أثره للصحابة من بعده، وقصر الموصوف على الصفة يؤكد ثواب الأجر وتحقق الثواب لمن ينهض به .

والتنكير في قوله:(رجل– يوم) يفيد عموم الثواب وعظيم الجزاء، واستنهاض الهمم، وحث المسلم على المسارعة في الخيرات ، واغتنام الأوقات .

ولم يحصل في ذلك اليوم هذا الفضل إلا لأبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه، فشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم مرارًا بأنه من أهل الجنة رضي الله عنه، والترتيب مأخوذ من (الفاء) التعقيبية وهو غير لازم؛ إذ لا يمكن حمل التعقيب على السؤال كما ذكروا في (ثم) أنه قد يكون للتراخي في السؤال أو التقدير: إذا ذكرتم هذا فمن فعل هذا؛ والحاصل أن هذه الخصال ما وجدت وحصلت في يوم واحد" في امرئ إلا دخل الجنة " أي: بلا محاسبة وإلا فمجرد الإيمان يكفي لمطلق الدخول، قال القاضي: دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى من أي باب شاء كما تقدم والله أعلم[1] .

ومن السنة المطهرة استحباب السؤال عن حال المريض وهو بمنزلة عيادته ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله– ﷺ– في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن! كيف أصبح رسول الله– ﷺ– ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا)، [2] .

---

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥٦/١٥ .

(١) صحيح البخاري ، باب مرض الرسول – ﷺ– ووفاته(٤٤٤٦).

ومن أساليب الاستفهام- أيضا- ما ورد عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلاَلٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلاَلُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِـوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِـــيلُ

وَهَـــلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَـامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ[1]

ومن أساليب الاستفهام السؤال عن سيد الخزرج الصحابي الجليل (سعد بن عبادة) فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ- ﷺ-إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ-: " يَا أَخَا الْأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟، فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ-: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ، وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ-وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ"[2].

---

(٢) صحيح البخاري، باب مَقْدَمِ الرسول - ﷺ- وَأَصْحَابِهِ المَدِينَةَ، وعيادة النساء للرجال ، باب من دعا برفع الوباء والحمي(١٨٨٩).

(٣) صحيح مسلم ، باب في عيادة المرضي (٩٢٥).

خلق من أخلاق الاسلام إذا تعذرت عيادة المريض لمرض شديد، أو تقلب أحوال، سنَّ الإسلام استحباب السؤال عن حال المريض وهذا يكون بمنزلة عيادته.

في الحديثين الأولين روعي توظيف (كيف) التي يُسأل بها عن الحال(كيف أصبح- كيف تجدك) .

والمعني في حديث الإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه: نرجو له أن يبرأ وأن يشفيه الله سبحانه وتعالى، وقال ذلك بحسب ظنه أنه أصبح في النهار وصحته جيدة فنرجو له أن يبرئه الله عز وجل من هذا المرض، ولكن لم يحدث، وكان هذا المرض الذي فيه وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وفي حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها – أن أباها وبلالًا رضي الله عنهم أجمعين وعكا وعكًا شديدًا ، فسألت السيدة عائشة عن حالهما بهذه الأداة التي تكشف عن بيان حالهما .

ويلحظ في كلام الصديق رضي الله عنه اقتران المرض بالموت، ودلالة على قربه منه، والذي ذكره يؤكد قرب الموت من أي إنسان يُصاب بمرض أو نحو ذلك، والصديق – رضي الله عنه- لم يُجب ، وإنما أجاب بمنطوق حاله بهذا البيت .

أمَّا بلال- رضي الله عنه- فيحُس باستفاقة عند إقلاع الحمي عنه بهذه الأبيات التي تؤكد على شوقه وحنينيه إلى مكة .

ويلحظ أن جواب الصديق وبلال رضي الله عنهما ختم بإنشاد الشعر، حيث يستطيع الإنسان التنفيس عما يدور في خلجات نفسه وطوايا ضميره دون الكلمات، وفي الحديث الشريف توضيح لعيادة النساء الرجال .

وصيغة السؤال (كيف تجدك) وردت كذلك في السؤال عن حال المريض، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ الرسول – ﷺ- دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ فَوَجَدَهُ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» فَقَالَ: أَجِدُنِي أَخَافُ وَأَرْجُو، وَفِي رِوَايَةِ سَيَّارٍ قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ

وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ: " لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ – زَادَ سَيَّارٌ: فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ – إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ الَّذِي يَرْجُو، وَأَمَّنَهُ مِنَ الَّذِي يَخَافُ " (١).

وعبارة (فوجده في الموت) مقرونة بالفاء تدل على شدة البلاء ونزول الموت بساحته ، فسأله الرسول – ﷺ– عن حاله والتنفيس عنه في محنته بهذه الصيغة (كيف تجدك) .

ويلحظ هنا الجواب من هذا المريض المقبل على الموت (أجدني أخاف وأرجو)، وفي رواية (أرجو الله وأخاف ذنوبي) فقدم الخوف مرة ، والرجاء كذلك دلالة على خطر ما هو مقبل عليه، فلا يعلم بحاله إلا الله تعالي .

وتأتي طمأنة الرسول– ﷺ– للمريض:(لا يجتمعان في قلب مؤمن) فيه تهدئة لحال المريض ومن هو مقبل على الموت، وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء تأكيد لهذا الكلام وشمول رحمة الله تعالي وعطائه بلا حدود، تسلية للمريض وتأمينه مما يخاف .

وفي سؤال الصحابة الكرام عن حال رسول الله – ﷺ– فيه مزيد من التشوق والتلهف في الاطمئنان على حاله – ﷺ– في مرضه .

وجواب الإمام على – رضي الله عنه – فيه مزيد من الاطمئنان وابلاغ المسلمين بتحسن أحوال المصطفي – ﷺ–.

وفي موقف مشاهد من رسول الله – ﷺ– وصحابته الكرام وهو جلوس معه، يعلمهم أمور دينهم وما خفي عليهم .

(١) الأربعون الصغرى للبيهقي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط الأولى، ١٤٠٨هـ ، صـ ٦٩.

(إذ جاء رجل من الأنصار) أي: وقت مجيء الرجل الأنصاري وتقدم أنها تحتمل المفاجأة بناء على قول أبي عبيدة بإفادتها له، وليس هناك فائدة من معرفة الرجل الذي كان من الأنصار

(يا أخا الأنصار) أي: يا واحدًا من الأنصار والنداء فيه إشعار بالقرب والأنس والتلطف مع الأنصار الذين نصروه وعزروه.

وقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من آية ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٦]، قيل أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب: يا أخا بني تميم ، يريدون يا واحدًا منهم .

ومنه قول رجل من بني العنبر :

لا يسألونَ أخاهمْ حينَ يندُبهمْ في النائباتِ على ما قالَ بُرهانا[1]

والسؤال والإضافة في قوله- ﷺ- (كيف أخي) فيه كمال تواضعه ومزيد فضله إذ أطلق هذا اللفظ في حقه تشريفًا له، وفيه إيماء إلى صدق إيمانه فيكون فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات:١٠] وكذلك يرتد إلى مفتتح هذا البحث (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم) ، وحديث(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) مما يدعو إلى التكاتف والتكامل بين أفراد المجتمع المسلم.

(فقال: صالح) أي: للشفاء عند مجيء إبانها في العلم الأزلي وهو كناية عن مرضه، فلذا توجه لعيادته ، وهو خبر مبتدأ محذوف ؛ لدلالة السؤال عليه، ففيه استحباب مثله لمن سأل عن حال مريض من نفسه أو غيره.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى، ١٤٠٤هـ، ٢ / ٣٣٢.

(فقال رسول الله: من يعوده منكم) فيه أن العيادة مطلوبة على الكفاية ، والسؤال فيه تشويق وتعليم للجلوس من طرف خفي ؛ لتفقد أحوال بعضهم بعضا.

وتأمل السرعة والاستجابة من الحبيب المختار، واستجابة الصحابة الأخيار (فقام وقمنا معه) ظاهره قيام جميع حاضري المجلس معه (ونحن بضعة عشر) البضعة بكسر الموحدة ما بين العقدين من العدد.

وجملة النفي في محل الحال من المبتدأ على مذهب سيبويه، ويصح أن يكون خبرًا بعد خبر كجملة (نمشي في تلك السباخ)، فوصف حالهم حين عيادة سعد بن عبادة فجأة وصفًا دقيقًا يُبين تقشف حالهم ومظاهر حياتهم وذلك في قوله:(ما علينا نِعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص)، وفي هذا سرعة واستجابة لأمر رسول الله- ﷺ- وامتثالًا لما يطلبه ، فتحل البركة ويعم النفع.

(ما علينا نِعال)أي: في أقدامنا (ولا خِفاف) الخفّ الملبوس، بل كنا حفاة (ولا قلانس) القلنسوة هي التي تلبس، (ولا قُمص)بضمتين جمع قميص ويجمع على قمصان: الثوب المعروف الملبوس على البدن.

وجملة (نمشي في تلك السِباخ) ، والأرض السبخة هي التي يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر، وفي هذه الجملة دلالة على الاقتصار على قليل الملبوس والإعراض عما زاد على الضرورة، وظاهر العبارة أنه حينئذ كان كذلك ؛ ليتأسوا به ويقتدوا بهديه .

وقوله: (فاستأخر قومه من حوله حتي دنا رسول الله - ﷺ- وأصحابه الذين جاءوا معه) أي: قرب منه إكرامًا للوافد وإنزالًا للناس منازلهم وليتأنس بهم المريض ويذهب.

ويلحظ في الحديث الشريف حسن تواضعه- ﷺ- واستحباب السؤال عن المريض وعيادته، وتفقد أحوال صحابته الكرام، وفيه دلالة الاقتصار على قليل

الملبوس، وفيه: إكرام الوفد، وإنزال الناس منازلهم.

ومن أساليب الاستفهام في مقام التعجب والإنكار ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ الرسول – ﷺ– دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ الرسول – ﷺ– إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ فَقَالَ لَهُ: لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ الرسول – ﷺ–: فَنَعَمْ إِذًا)[1].

رحمته – ﷺ– تحيط الجميع، رسالته رحمة للعالمين، لم يكن فظًا ولا غليظًا، هذا أعرابي من البادية عنده غلظة وجفاء في التعامل مع عيادة الرسول الكريم له في مرضه .

والأعرابي هو قيس بن أبي حازم، ولكن الإمام العيني اعترض على ذلك ؛لأن قيسًا لم ير الرسول – ﷺ– في حياته.

وجملة (كان الرسول إذا دخل على مريض يعوده) اعتراضية لغرض بيان ما كان يقوله الرسول– ﷺ– عند زيارته لمريض، وهذه الجملة من الراوي؛ لبيان سنته القولية عند الشروع في عيادة المريض.

وجملة (لا بأس طهور إن شاء الله) أراد تأنيسه من مرضه بأن الله تعالي يكفر ذنوبه ويقيله ، وجاء القول في صورة الخبر، وذكر بعض أهل العلم أنه يراد به الدعاء، قال ابن بطال(فنعم إذًا) دليل على أن قوله:(لا بأس عليك) أنه على طريق الرجاء لا على طريق الخبر عن الغيب" [2] .

---

(١) صحيح البخاري باب: عيادة الأعراب ، وما يقال للمريض وما يجيب(٥٦٥٦).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ٤٨٥.

وفي قوله:(إن شاء الله) دليل على أن قوله: (طهور) دعاء لا خبر؛ لأجل التفاؤل وتعجيل المسرة والتسلية في مصابه، ومجيء النكرة(لا بأس)في سياق النفي تأكيد لذلك؛ حيث أفادت العموم ، أي: لا بأس عليك من المرض، وهذا يدعو إلى التفاؤل ومراعاة حالة الأعرابي، ويشعر المريض أن لا بأس في هذه الحياة ، مما يبعث فيه مزيد من التفاؤل وتحقق الشفاء.

ومن أجل التخفيف عن المريض والمبادرة إلى المطلوب لضيق المقام بادر بحذف المسند إليه في قوله: (طهور) أي: المرض، وإبقائه في بؤرة الحدث تسليط الضوء ، تعجيلًا بالمسرة للمريض، وفيه تسلية وإيناس له وتفاؤل بزوال المرض .

ثم إنه من آداب الزيارة أن تجعل المريض يتمسك بالحياة وتبعث فيه روح الأمل والبقاء، لكن الأعرابي يفاجئ الحبيب- ﷺ- بهذا الرد قال: قلت: طهور؟ سوء أدب وجهل مركب، والاستفهام فيه استغراب واستنكار، كيف يكون طهورًا؟

وتزداد حدة التسخط والجهل بأداة الردع والزجر(كلا) لتبين مدى غلظته وقسوة قلبه نظرًا للطبيعة التي عاشها وتشرب طباعها.

ثم بدأ يفصل ما يجول في خاطره وما يشعر به من ألم وتعب(بل حمي تفور أو تثور)، فالتعبير بالمضارع يوحي بالاستمرار التجددي، ومزايدة الألم والشعور بالتعب، وقوله: (فنعم إذا) أي: لك ما أحببت ورغبت به من الموت،" فنعم إذا يحصل لك ما قلت إذ ليس جزاء كفران النعمة إلا حرمانها. قال القسطلاني: الفاء مرتبة على محذوف وإذا جواب وجزاء. ونعم تقرير لما قال الأعرابي، أي: إذا أبيت فنعم، أي: كان كما ظننت، فالفاء مرتبة على محذوف، ونعم تقرير لما قال، والمعني: أرشدتك بقولي: لا بأس عليك إلا أن الحمى تطهرك من ذنوبك ؛ فاصبر واشكر الله تعالى، فأبيت إلا اليأس والكفران، فكان كما زعمت، وما اكتفيت بذلك، بل رددت نعمة الله وأنت مسجع به قاله غضبا عليه ، وقال ابن التين: يحتمل أن يكون ذلك دعاء عليه، ويحتمل أن

يكون خبرًا عما يؤل إليه أمره. وقال غيره: يحتمل أن يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – علم أنه سيموت من ذلك المرض فدعا له بأن تكون الحمى له طهرة لذنوبه فأصبح ميتًا، ويحتمل أن يكون أعلم بذلك لما أجابه الأعرابي بما أجابه"[1].

ولتمكن الحمي والشعور بالتعب عبر بحرف الجر(على شيخ كبير)الذي يفيد الاستعلاء والغلبة وعدم التحمل لما أصابه من شدة الألم .

وجملة (تزيره القبور) كناية عن الموت، أي: تحمله الحمي على زيارة القبور، وتجعله من أصحابها.

والجرس الموسيقي في كلمتي(تفور– تثور) واتحاد الفاصلة على حرف مع تقارب مخرجي الثاء والفاء وما يجد القارئ فيه من تعثر في طرف اللسان يحكي معاناة الأعرابي، فهو بين غليان وغضب شديدين.

وجاء الجواب مناسبًا لحال الأعرابي وما فيه من التسخط والتنكر(نعم إذًا)، ويلحظ من هذا غلظة وجفاء الأعراب في التعامل مع رسول الله– ﷺ–، واستعمال أدوات الزجر والردع في (كلا، وبيان حالة الفوران والغليان وشدة المرض عليه)، كما يلحظ في بيان صفات الأعراب من خلال هذا الحديث الاندفاع في الجواب والغلظة في الرد ، مع الغضب وشدة الفوران .

(١) مرقاة المفاتيح ٣/ ١١٢٤، ومرعاة المفاتيح ٥/٢١٩.

المبحث الرابع

أسلوب الدعاء

الدعاء مفتاح النجاة، وباب الأمل الذي لا يغلق في وجوه عباده، وخاصة من يدعو لمريض يذهب سقمه، ويبرأ مما ابتلي به، قال تعالي: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] علينا الدعاء، ومن رب العزة الإجابة وحلول البركات تتنزل على عباده ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»: وفى رواية: «إِذَا أُتِيَ بِالْمَرِيضِ» وَقَالَ جَرِيرٌ: عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، وَحْدَهُ، وَقَالَ: «إِذَا أَتَى مَرِيضًا»[(١)] ، وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ الرسول – ﷺ–يُعَوِّذُ بَعْضَهُمْ، يَمْسَحُهُ بِيَمِينِهِ"[(٢)].

وعَنْ عَبْدِ العَزِيزِ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، اشْتَكَيْتُ، فَقَالَ أَنَسٌ: أَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ–؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا" [(٣)]

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ–، إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ–وَثَقُلَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ

---

(١) صحيح البخاري باب دعاء العائد للمريض ، وباب رقية الرسول – ﷺ–(٥٦٧٥).

(٢) السابق بَابُ مَسْحِ الرَّاقِي الوَجَعَ بِيَدِهِ اليُمْنَى، صحيح مسلم(٥٧٥٠).

(٣) صحيح البخاري باب رقية الرسول – ﷺ–(٥٧٤٢).

مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى"(١).

في هذه الأحاديث الشريفة يعلمنا رسول الله – ﷺ– الدعاء للمريض ، وكيف نرقيه برقيته – ﷺ–بطريق القول والفعل .

وكان الرسول – ﷺ– يخاطب المرضي بما يظهر منه مراعاة لحالهم فيقوم بمواساتهم ويرجو لهم الشفاء تسلية منه وإيناسًا وشفقة بهم، فكان اختيار الدعاء لهم إذا أتي مريضا أو أُتي بمريض عنده – ﷺ–.

وقد رصد الباحث من معايشة هذه الأحاديث عدة أمور منها:

١–الدعاء وفيه تأنيس المريض باللفظ الرقيق وبعث الأمل والتفاؤل لديه، واختيار لفظ الربوبية (ربَّ الناس)؛ لأن الشفاء من أفعال الربوبية فلا يملكه غيره، يقول الله ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٠] ، وفيه من معاني التربية والربوبية ما يشعر بالإيناس والقرب والتلطف لحال المريض ورجاء الشفاء، وفيه " إشارة إلى أن الدعاء بلفظ الرب مؤثر في الإجابة لإيذانه بالاعتراف بأن وجوده فائض عن تربيته وإحسانه وجوده وامتنانه "(٢)، وحذف حرف النداء يشعر بهذا القرب والأنس والرحمة .

٢– الاستفهام في رواية أنس (أَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ–؟ قَالَ: بَلَى) فيه تلهف وتشوق واستفتاح وترقب من الصحب الكرام وطلب استزادة في تمام الرقية والشفاء العاجل ورقية رسول الله – ﷺ– .

---

(٤) صحيح البخاري (٥٧٥٠)، وصحيح مسلم باب استحباب رقية المريض (٢١٩١).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ١٨٩٠ .

٣-وإيثار لفظ الرب بالإفراد؛ لأن مقام الدعاء مقام توحيد الله تعالي، وفيه تذكير للمريض بالتوجه إلي الله تعالي والتعلق به وحده ، فما يطلبه من أسباب الشفاء ليست مؤثرة بذاتها، وإنما بتقدير الله عز وجل ومشيئته سبحانه .

٤-السجع مع الجناس(البأس-الناس) يسهم في بعث الأمل عند المريض، وتخفيف الهمز(البأس) طلبًا للسجع ، كما أن صوت صفير السين المهموس والمد يبعث التفاؤل والهدوء واللطف والرقة مع حال المريض .

٥-اختيار الألفاظ التي تتلاءم مع حال المريض، حيث وردت لفظة الشفاء خمس مرات (اشف- الشافي- شفاء- شفاؤك-سقما)، وكذلك لفظ(الباس) من معاني الشفاء، وكل هذا إشعار للمريض بالتفاؤل وبعث الأمل في حال قد يدب اليأس والضعف، فيصدر منه أشياء تغضب الله تعالي.

٦-تقييد الشفاء في خاتمة الخطاب(لا يُغادر سقمًا) والتنكير في (سقم) للتقليل، ويكون- أيضًا- للعموم وللتعظيم والتفخيم لمجيئه في ثوب النفي، فيدخل فيه كل سقم علمه البشر أم لم يعلموه ، فكل ما يطرأ من أسقام إلى يومنا هذا داخل تحت هذا السقم، كما أن التقييد مع التنكير يُؤذن بتمام الشفاء الذي يمحو الألم من جذوره، وفائدة التعبير المقيد أنه قد يحصل شفاء من ذلك المرض، فيخلفه مرض آخر يتولد منه، فكان يدعو له بالشفاء المطلق لا مطلق الشفاء"(١)، وربما قصد من ذلك الدعاء شمول كل أمراض القلوب والعقول من الشبه الضالة والضارة للدين والعقيدة.

٧-الإيجاز في الخطاب وقصر فقراته مراعاة لحال المريض النفسية التي لا تسمح بإطالة الكلام معه، وهذا من بلاغة هديه -ﷺ-، فمن آداب زيارة المريض تخفيف

---

(٢) تحفة الأحوذي ٣/٤٠٨..

الجلسة، وقلة السؤال والرقة في التعامل، والتأنيس والتسلية بجانب التخفيف في مصابه، والدعاء له بطلب العافية .

٨-تعانق القول المؤنس بالفعل المؤنس من المعصوم-ﷺ-، حيث يمنح بيده الشريفة المباركة الوجع تفاؤلا بذهابه مع الدعاء له بالعافية.

٩-الاعتراض بجملتي(أنت الشافي- لا شفاء إلا شفاؤك) بين الفعل(اشف) ومفعوله المطلق (شفاء)[١] يثير انتباه المتلقي؛ لأن الاعتراض قطع الفعل(اشف)عن مفعوله المطلق المبين للنوع (شفاء) فجاء الفعل معلقًا علي مفعوله"[٢]، وفي هذا التعليق ضرب من تجديد نشاط السامع ولون من التشويق إلى بقية الكلام .

١٠- مجيء القصر بهذين الطريقين مع جملة الاعتراض ليدفع الشك ويرد الانكار؛ لأن بعض الناس يظنون لجهلهم أو فساد عقولهم أن الدواء والتدواي هما الشافيان .

١١-ومن اختلاف الروايات ورد لفظ (اذهب الباس) و(مُذْهب الباس) الأولي بالأمر وفيه تلطف ورجاء وزيادة في الالتماس، والثانية باسم الفاعل وفيها ثبوت ودوام وتفاؤلا في حلول الشفاء وزوال الألم .

١٢-وتنوع اسم الفاعل (شافي- كاشف) دلالة على الثبوت والدوام وأن الله تعالي لا يتخلى عن المريض أبدًا.

١٣-(أنت الشافي) وردت بأسلوب قصر وطريقه تعريف الطرفين وهو قصر حقيقي تحقيقي؛ لأن الرسول قد أثبت الشفاء لله وحده ونفاه عن كل ما سواه وذلك أمر حقيقي لا مبالغة فيه ولا ادعاء؛ لأن الشافي هو الله وحده، أمَّا الطبيب فهو سبب في

---

(١) البخاري بشرح الكرماني ٢٠١/٢٠، مرقاة المفاتيح ٣٦٠/٨، الفتوحات الربانية ٨٥/٤، دليل الفالحين ٣٣٠/٣.

(٢) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي أ د/ سلامة جمعة داود ٣١٥.

الشفاء ليس هو الشافي المباشر للشفاء، وفي رواية للبخاري:(اشفه وأنت الشافي)، قال العسقلاني: كذا لأكثر الرواة بالواو، ورواه بعضهم بحذفها، والضمير في (اشفه) للعليل أو هي هاء السكت، ويؤخذ منه جواز تسمية الله تعالى بما ليس في القرآن بشرطين أحدهما: أن لا يكون في ذلك ما يوهم نقصا، والثاني: أن له أصلًا في القرآن.

وفي رواية (وَأَنْتَ الشَّافِي)[١] جملة مستأنفة مقرونة بالواو زيادة في تأكيد الدعاء وحلول البركة على المريض.

١٤-وفي رواية أخرى(بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ)[٢] بطريق التقديم في الأولي، والقصر بالنفي والاستثناء في الثانية، فبيده الشفاء لا بيد غيره، ونفدت الحيل، وانقطع الأمل في المخلوقين، كما أن إيثار(الخطاب) فيها من التوجه والقصد والتعلق برحمة الخالق جل وعلا.

١٥-ومن اختلاف الروايات (لا شفاء إلا شفاؤك- لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ[٣] - لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ[٤]) بطريقي النفي والاستثناء في روايتين (لا شفاء إلا شفاؤك) وردت بالنفي والاستثناء وهي توكيد للجملة الأولى ووجه ذلك القصر أن تدبير الطبيب، ودفع الدواء لا ينجع في المريض إذا لم يقدر الله الشفاء"[٥] ، وأكد التقديم بأبلغ طرق القصر (النفي والاستثناء) (لا شافي إلا أنت) وقيد المفعول المطلق (شفاء) ثم وصفه بقوله:(لا يغادر سقمًا) الغرض من ذلك الإبانة عن نوع الشفاء المرجو وأنه ليس

---

(٣) صحيح مسلم باب استحباب رقية المريض(٢١٩١).

(١) صحيح مسلم (٢١٩١).

(٢) السابق(٢١٩١).

(٣) صحيح البخاري باب رقية الرسول-ﷺ- (٥٧٤٢) .

(٤) مرقاة المفاتيح ٣/ ١١٢٤.

مطلقًا بل شفاء مخصوص أبانه المفعول المطلق مع صفته ، وهو شفاء لا يغادر أي: فرصة لسقم يفتك ببدن المسلم، أمَّا المفعول(سقمًا) فأتي به صريحًا؛ ليسلط على الشفاء مباشرة ، والنكرة للعموم، فالرسول- ﷺ- أفصح الخلق آثر البيان لفظ (لا يغادر) لما فيه من تصوير ذلك الشفاء بعاقل عاكف على شيء له من شأنه أبدًا وأنه حريص على ملازمته وتتبعه حتي الوصول إلى غاية معينة هي برء ذي السقم من سقمه وهو شفاء ملازم، ذلك التلازم مأخوذ من الفعل المضارع المنفي بـ (إلا) إذ أن الأوجه في المضارع المنفي بها أن يسلب التجدد الكامن فيه كما سُلبت نفس معناه، والعاقل الملازم قد يفتر أو ينصرف، أما هنا فرجاء رسول الله – ﷺ- متعلق بشفاء لا يغادر، أي: سقم مطلقًا من الاسقام ".

١٦- زيدت (له) في قوله: (لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ [١]) والتقديم هنا يشعر بالتعب ونزول البلاء به، ولا يستطيع كشف الضر عنه إلا بتقدير الملك جل جلاله.

ووردت الرقية بلفظ (باسم الله) في حديثين، الأول: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:(يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ)[٢].

والثاني ما روي عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ- كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ: الرسول – ﷺ- بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا «بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: «يُشْفَى» وقَالَ زُهَيْرٌ «لِيُشْفَى سَقِيمُنَا»[٣].

---

(٥) صحيح مسلم (٢١٩١).

(٦) السابق ، باب الطب والمرض والرقي(٢١٨٦).

(٧) السابق باب استحباب الرقية من العين والنملة(٢١٩٤).

ويلحظ في الحديثين الجليلين قصر الرقية على كونها (باسم الله)لا يمنع الرقية بالمعوذتين؛ لأنها داخلة في عموم الرقية(باسم الله)، ولهذا قال النووي "وقد نقلوا الاجماع على جواز الرقي بالآيات،" وجميع الرقي جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكره، ومنهي عنها إذا كانت باللغة الأعجمية، أو بما لا يدري معناه لجواز أن يكون فيه كفر" [١] .

ولأهمية قصر الرقية على كونها باسم الله ، كرر الرسول- ﷺ-هذا القصر تأكيدًا وتنبيهًا على الرقي لا ينبغي أن تكون إلا باسم الله وأوصافه وذكره ، فبركة ذلك يرفع ما يؤذن في رفعه من الضرر"[٢] .

ولهذا السبب بدء الدعاء بالبسملة وختم بها إشارة إلى أنه لا نافع إلا هو، وفيه من صنع البديع رد المقطع على المطلع "[٣] .

في الحديث الأول: قدم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: (الله يشفيك) كما قدم الجار والمجرور على متعلقه مرتين (باسم الله أرقيك) والتقديم دال على القصر، أي: لا أرقيك إلا باسم الله ولا يشفيك إلا الله .

والقصر في (الله يشفيك) جاء موقعه وحيث يقتضيه السياق؛ لأنه يشير إلى أن الرقي ذاتها لا تشفي وإنما الشافي هو الله، ففي القصر تحذير من الاغترار بالرقية، ونسبة الشفاء إليها، وإن كان الراقي من كان في الورع والتقوي "[٤] .

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١٤/١٦٩.

(٢) دليل الفالحين ٣/٣٨٧.

(٣) الفتوحات الربانية ٤/٦٨

(٤) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي الشريف أ د / سلامة جمعة داود ١٥٤-١٥٥.

ومن بلاغة الدعاء النبوي ذكر الخاص بعد العام؛ للتنويه بشأن الخاص، وذلك في قوله:(من كل شر يؤذيك) وأعقبها بقوله: (من شر كل نفس أو عين حاسد).

وإذا أنعمت النظر في الحديث الثاني وجدت التعبير بصيغة المجهول والمعلوم (أتي مريضًا ، أتي بالمريض) أي بالفعل بصيغة المجهول ليشمل ما يدعو به المريض لنفسه أو يدعو به له غيره.

وفي قوله: (قال الرسول بأصبعه) إطلاق القول على الفعل، والتعبير باسم الإشارة (هكذا) وبين كيفية المشار إليه بقوله.

وفي قوله: (فوضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها) إيماء إلى طلب إطالة بقاء الأصبع بالأرض والله أعلم بسر ذلك.

(وقال) عطف على قال الأول، والظرف في قوله: (باسم الله) متعلق بمحذوف دل عليه المقام: أي أداوي باسم الله، والفصل من كمال الانقطاع ؛ لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاء، والسر في هذا الفصل لاستئناف كلام جديد؛ لأن البسملة جملة مستقلة تفيد التبرك بالبداية باسم الله ، ولذلك بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال، وسور القرآن الكريم خير شاهد على هذا ، حيث افتتحت بالبسملة .

وفي قوله: (تربة أرضنا) خبر مبتدأ محذوف: أي :هذه تربة أرضنا ، وقوله: (بريقة بعضنا) باء المصاحبة: أي :ممزوجة معها.

وخبر المبتدأ جملة (يُشفي) بالبناء للمجهول ويتعلق به قوله: (به) ونائب فاعله قوله: (سقيمنا) والرابط هو الضمير المجرور، وذكر هنا ؛ لأن التربة بمعنى التراب، وقوله: (بإذن ربنا) أي: بأمره محل الحال من الخبر. والمعنى: أنه يحصل الشفاء بإذن الله تعالى بهذا المذكور.

"وفي قوله:(تربة أرضنا) إشارة إلى فطرة أول مفطور من البشر وهو الأصل، و(ريقة بعضنا) الفرع منه، وفيه إشارة إلى النطفة التي خلق الله منها الإنسان كأنه يتضرع

بلسان الحال، ويتعرض لفحوى المقال إنك اخترعت الأصل من طين، ثم ابتدعت نسله من سلالة من ماء مهين فهينَّ عليك أن تشفي من كانت هذه نشأته ، وتمن بالعافية على من استوى في ملكك موته وحياته، فإن قيل: إن صحت المناسبة بين التربة وفطرة الإنسان، فما وجه المناسبة بين الريقة والنطفة؟ قلت: هما من فضلات الإنسان فعبر بإحداهما عن الأخرى وكانت عادته الكناية في مثل ذلك"[١].

ويلحظ كذلك اقتران الفعل مع القول (الدعاء المؤنس والفعل المبهج) ففي مرور أصابع الرسول – ﷺ–على المريض عطاء بلا حدود، وراحة أبدية لا توصف، وفيه حلول العافية ورجاء البرء مما ألم بالعبد المؤمن .

(١) دليل الفالحين ٦/ ٣٧٧.

المبحث الخامس

الجملة الحالية

١-فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «جَاءَنِي الرسول - ﷺ- يَعُودُنِي، لَيْسَ بِرَاكِبٍ بَغْلٍ وَلاَ بِرْذَوْنٍ»[١].

٢-وأَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ الرسول - ﷺ- رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ، عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ... [٢].

٣-مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- وَأَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي، فَوَجَدَانِي قَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-، فَصَبَّ عَلَيَّ وَضُوءَهُ»[٣]

٤-سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: مَرِضْتُ مَرَضًا، فَأَتَانِي الرسول - ﷺ- يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، «فَتَوَضَّأَ الرسول - ﷺ- ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ» فَإِذَا الرسول - ﷺ-، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ[٤] .

٥-أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ - ﷺ- وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ، فَصَبُّوا عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ» ، فَقُلْتُ

---

(١) صحيح البخاري ، باب عيادة المريض راكبًا أو ماشيًا(٥٦٦٤) .

(٢) السابق ، باب عِيَادَةِ المَرِيضِ، رَاكِبًا وَمَاشِيًا، وَرِدْفًا عَلَى الحِمَارِ(٥٦٦٣).

(٣) سنن النسائي باب الانتفاع بفضل الوضوء(١٣٨) (صحيح).

(٤) صحيح البخاري بَابُ عِيَادَةِ المُغْمَى عَلَيْه (٥٦٥١).

لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} [النساء: ١٧٦] ، قَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ» (١).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ الرسول - ﷺ- يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «قَدْ قَضَى» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى الرسول - ﷺ-، فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ الرسول - ﷺ- بَكَوْا، فَقَالَ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» (٢).

جملة هذه الأحاديث تدور حول هيئة عيادة المريض، ووصف حاله عند عيادة رسول الله - ﷺ- لهم ، حيث كان يعود المرضي في أحوال شتي، ماشيًا، راكبًا، متفقدًا أحوالهم .

ففي الحديث الأول نص على المشي بطريق النفي (ليس براكب بغل ولا برذون) والجملة حالية ،والـ (بغل) هو ولد الفرس من الحمار الذي يركب، والأنثى بغلة، والجمع بغال، (والبِرْذَون) بكسر الباء: البِرذون الدابة، والأنثى بِرْذَونة، وهو غير العربي من الخيل، وقيل: الفرس العجمي(٣).

(١) صحيح مسلم باب ميراث الكلالة(١٦١٦).
(٢) صحيح البخاري باب البكاء عند المريض (١٣٠٤).
(٣) اللسان والتاج مادتا ب- غ- ل ، ب- ر- ذ- ن.

والتعبير بالمجيء لما في دلالة المجيء من جلبة ووضوح ، وصعوبة ومشقة ، أما الإتيان ففيه يسر، وربما يكون في خفاء [١].

وفي الحديث الثاني (راكبًا على حمار) في الحديث الطويل، وفيه مقابلة عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين، والثالث يخص الصديق مع الحبيب- ﷺ- (وهما ماشيان) والجملة حالية مقترنة بالواو؛ لإبقائها في بؤرة الحدث وتسليط الضوء عليها، وهذا يؤكد فضل عيادة المريض راكبًا وماشيًا كل ذلك سنة مرجو بركة العمل بها وثواب الأعمال على صحة النية وإخلاصها لله تعالى وإن قلت المشقة فيها وفيه ما يدل على فضيلة عيادة المريض ماشيًا، فإن ركب جاز، والأولى اتباع صاحب الشرع لما فيه من إظهار التواضع، وإدخال السرور في قلب المريض[٢].

كما يلحظ توالي الفاءات (فأتاني) (فوجداني) دلالة على التعقيب والسرعة والفجأة، وتتابع الأحداث، لأنهما لم يعلما بإغمائه قبل عيادته، والإغماء كسائر الأمراض تجب العيادة فيه تأسيًا بالرسول- ﷺ-.

وتتابع جملتي الحال في روايتي الحديث (يعوداني) بصيغة المضارع دلالة على استحضار الصورة وتتابع العيادة رجاء في البُرء وحلول العافية، وفي الرواية الأخرى (وهما ماشيان) بالجملة الاسمية دلالة على الثبوت والدوام في تلك الحال، وفي رواية مسلم(ماشيان) على تقدير: وهما.

---

(١) الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم: د/ محمود موسى حمدان: مكتبة وهبه. ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.: صـ١٧-١٩

(٢) شرح سنن أبي داود للبدر العيني ٦/ ١٤(ت: ٨٥٥هـ) تح: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م. ، ويراجع: شرح صحيح البخاري لابن بطال٩/ ٣٨٣.

ورواية الحال في حديث جابر(وأنا مريض لا أعقل) جملة حالية مقرونة بالواو لاستقلالها عما قبلها لمزيد من الاهتمام والعناية حال دخول الرسول- ﷺ- عليه ، وهي جملة اسمية توحي بالثبوت والدوام .

والاحتراس بقوله: (لا أعقل) لدفع توهم غير المراد ، من أنه مريض عادي، لكنه يغمي عليه في بعض الأوقات .

والفاء في قوله: (فتوضأ) للتعقيب والسرعة والمبادرة في الوضوء، ولعل الحكمة في الوضوء أن العيادة عبادة وأداء العبادة على الوجه الأكمل أفضل ، وإذا دعا وهو على طهارة يكون أقرب إلى الإجابة(١).

وقوله: (ثم صبَّ على من وضوئه) فيه تتابع الأنوار البهية وحلول البركة على جسد المريض، والانتفاع بوضوء الحبيب- ﷺ- .

والمشاكلة في قوله:(فعقلت) ورواية (فأفقت) مناسبة لقوله السابق(لا أعقل) (أُغمي علي) دلالة على أنها مرة ثم يفيق ويعود لصوابه، ويعقل بعد الإغماء وفيه بركة أنوار النبوة على جسد المريض، وجبر خاطره ، والتبرك بوضوئه - ﷺ- .

ترْجم على هَذَا الْبَاب لِئَلَّا يعْتَقد أَن عِيَادَة الْمغمى عَلَيْهِ سَاقِط الْفَائِدَة إِذْ لَا يفِيق لعائده. وَمَا فِي الحَدِيث أَنَّهُمَا علما أَنه مغمى عَلَيْهِ قبل عيادته، فلعلّه وَافق حضورهما، وَزعم بَعضهم أَن عِيَادَة الْمَرِيض بِعَيْنِه غير مَشْرُوعَة، لِأَن عائده يرى فِي بَيته مَا لَا يرَاهُ هُوَ، فالمغمى عَلَيْهِ أشدّ(٢). وعيادة المرضي شاملة لأي إنسان به مرض، بدليل قول الرسول- ﷺ- (عُودُوا المَرِيضَ وأَطْعِمُوا الجَائِعَ وَفُكُّوا العَانِيَ)، فالتعريف بـ(أل) في(المريض) للاستغراق حيث يشمل جميع المرضي ، وبأي مرض

(١) عون المعبود في شرح سنن أبي دواد صـ ١٤٠٤.

(٢) المتواري على أبواب البخاري ١/ ٣٧٤

كان صغيرًا أو كبيرًا ، فيدخل فيه عيادة الأرمد والمغمي عليه، لأن وراء ذلك جبر خاطر أهله وما يرجى من بركة دعاء العائد ووضع يده على المريض والمسح على جسده والنفث عليه عند التعويذ" (١) .

ومن اقتران جمل الحال الواو ، ما ورد عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ وَلَدِ سَعْدٍ، كُلُّهُمْ يُحَدِّثُهُ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى سَعْدٍ يَعُودُهُ بِمَكَّةَ، فَبَكَى، قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فَقَالَ: قَدْ خَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرْتُ مِنْهَا، كَمَا مَاتَ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ، فَقَالَ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا» ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي مَالًا كَثِيرًا، وَإِنَّمَا يَرِثُنِي ابْنَتِي، أَفَأُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: «لَا» ، قَالَ: فَبِالثُّلُثَيْنِ؟، قَالَ: «لَا» ، قَالَ: «فَالنِّصْفُ؟» قَالَ: «لَا» ، قَالَ: فَالثُّلُثُ؟ قَالَ: " الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّ صَدَقَتَكَ مِنْ مَالِكَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ نَفَقَتَكَ عَلَى عِيَالِكَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مَا تَأْكُلُ امْرَأَتُكَ مِنْ مَالِكَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّكَ أَنْ تَدَعَ أَهْلَكَ بِخَيْرٍ – أَوْ قَالَ: بِعَيْشٍ – خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ " وَقَالَ: بِيَدِهِ". (٢)

جملة الدعاء (اللهم اشف سعدًا) تكررت ثلاث مرات رغبة في حدوث الشفاء ، ونزع المخاوف من قلب الصحابي الجليل من أن يموت بمكة ، فلم يكن همُّ سعد – ﷺ– المرض وحده .

مرض سعد بن أبي وقاص– ﷺ– . وهو في مكة في حجة الوداع ، فعاده الرسول– ﷺ–، وقد ظن "سعد " . ﷺ . قرب أجله ، فرغب أن يوصي بماله كله صدقة لله ، فصرفه الرسول ﷺعن ذلك ، حتى وافقه على الثلث ، ويبين الرسول– ﷺ – حكمة هذا التشريع .

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ط السابعة ١٣٢٣ هـ، ٨/ ٣٤٥ .

(٢) صحيح مسلم باب الوصية بالثلث (١٦٢٨).

وقد بدأ سعد بن أبي وقاص . ﷺ . حكاية البيان السابق ، فبدأ بقوله : " جاء الرسول . ﷺ . يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها " وقد توالت الجمل الحالية في كلام سيدنا " سعد " السابق، والتي ولج من خلالها إلى مناسبة النص، فالرسول- ﷺ - قد جاءه يعوده وهو في مكة كارهًا أن يموت فيها .

هنا ثلاث جمل حالية واحدة منهن بغير " الواو" ، وهي جملة (يعودني) والثانية والثالثة " بالواو "، وهما جملتي (وأنا بمكة - وهو كاره أن يموت بالأرض التي هاجر منها).

يذكر الشيخ عبد القاهر:" أن كل جملة وقعت حالًا ، ثم امتنعت من " الواو" فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد وكل جملة جاءت حالًا ثم اقتضت " الواو" فذاك لأنك مستأنف بها خبرًا ، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات " [١] .

فجملة الحال (يعودني)أفادت أنها هي مقصده وموضع اهتمامه ، وكأنه يظهر من خلالها حب الرسول - ﷺ - له واهتمامه به ، ومجيء جملة الحال فعلية مضارعيه ، فيه استحضار من الصحابي الجليل لهذه الحال ، ومعايشتها حبا منه لرسول الله - ﷺ - فهو يستدعى عيادة الرسول- ﷺ - من ذكرياته الجميلة ليعيش بها في حاضره وجاءت جملة الحال الثانية (وأنا بمكة) بـ " الواو " وهي حال من المفعول في(يعودني)، وقد أفادت أمرين على سبيل الاستقلال جمعت بينهما " الواو " الأمر الأول: هو إفادة السامع عيادة الرسول - ﷺ - لسيدنا " سعد " ، والثاني : إفادة السامع أن عيادة الرسول - ﷺ - لسعد . ﷺ . كانت بمكة .

---

(١) دلائل الإعجاز صـ١٨٩ .

أما جملة الحال الثالثة (وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها)، فهي تصح . كما يقول ابن حجر أن تكون حالًا من الفاعل الرسول – ﷺ – أو من المفعول " سعد " وكل من ذلك محتمل[١]، لأن كلا من الرسول – ﷺ – و" سعد كان يكره الموت "بمكة "، وجزم العيني" بأن الجملة حال من الرسول– ﷺ – والضمير في " يكره " راجع إليه – ﷺ– [٢] ، والأولي أن تكون هذه الجملة حال من سيدنا " سعد " وأن الضمير عائد إليه، ويكون الأسلوب فيه التفات من التكلم إلى الغيبة إذ مقتضي السياق أن يقول : " وأنا أكره ..." وحمل الكلام على هذا المعني أولى وأنسب لما يأتي[٣]:

أولا : أن الجمل الحالية التي سبقت هذه الجملة ، كان مقصدها هو الحديث عن حال الصحابي الجليل ، فهو مريض عاده الرسول– ﷺ – وكان مرضه في" مكة "، ولو لم تكن هذه الجملة حالا من " سعد " لما كان هناك داع لذكره جملة " وأنا بمكة " حيث مهد بهذه الجملة لجملة(وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها) .

ثانيًا: ما جاء صريحًا في رواية مسلم(أن الرسول– ﷺ – دَخَل عَلَى سعدٍ يَعُودُهُ بمكَّةَ فبكي، قال: ما يُبكِيكَ ؟ فقال:(قَد خشِيتُ أَن أموتَ بالأرضِ التي هَاجرتُ) [٤] فهذه الرواية نص صريح في كون سعد . ﷺ . هو الكاره للموت " بمكة " حفظها الله .

---

(١) فتح الباري جـ٥ صـ٤٠٨ .

(٢) عمدة القاري جـ١٠ صـ١٣ .

(٣) ينظر أسلوب الشرط في صحيح البخاري للباحث / رضا السعيد فايد رسالة دكتوراه – كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ١٤٦–١٥٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١١ صـ٢٥٠ .

فقد كان هذا الصحابي الجليل يخشي أن يموت بمكة ومات بها ، ففي الكلام تعريض بحاله، والجملة خبرية لفظا إنشائية معني، قصد بها الدعاء ، وإيقاع الدعاء في صيغة الخبر إشعار بتحققه ، والرسول – ﷺ – يخبر عنه .

وقد أثار التعريض بحال ابن عفراء الذي مات بمكة إحساسا لدى سيدنا " سعد "بدنو أجله، وأن الموت قاب قوسين أو أدني منه، فأراد أن يوصي بماله كله، فصرفه الرسول –ﷺ– إلى الوصية بالثلث والثلث كثير، وهنا يأتي أسلوب الشرط تعليلًا لما نبه عليه الرسول – ﷺ – من كون الوصية لا ينبغي أن تزيد على" الثلث ".

وجملة " إِنَّكَ إِن تَدَع وَرَثَتَكَ أَغنِيَاءَ خَيرٌ مِن أَنْ تَدَعَهُم عَالةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أيديهِم " مشتملة على فعل الشرط وجوابه، وجاء الجواب بحذف " الفاء " فهو خير، والحذف هنا مناسب للسياق والمقام طلبًا للإيجاز ومراعاة الحالة النفسية لسيدنا سعد وإحساسه بدنو أجله.

ومما يستوقفنا في جملة الشرط هو لفظ (ورثتك) فالتعبير بلفظ " الورثة " مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون والصحابي الجليل لم يكن له يومئذ إلا ابنة واحدة ، والتعبير عنها بالجمع " ورثة " فيه معجزة إلهية ، لأن " سعدًا " عاش وعمر بعد ذلك طويلا ورزق بأربعة من الذكور فالأمر كما ذكر الفاكهي : إنما عبر– ﷺ – بالورثة ، لأنه اطلع على أن " سعدا " سيعيش ، ويأتيه أولاد غير البنت المذكورة ، فكان كذلك وولد له بعد ذلك أربعة بنين(١).

ويختم الرسول – ﷺ – حديثه مع الصحابي الجليل " سعد بن أبي وقاص " ببشري حانية تبشره بطول عمره ، يقول الرسول– ﷺ – (وَعَسَي اللهُ أَنْ يَرفعَكَ فينتفِعُ بِكَ نَاسٌ ويُضرُّبِكَ آخرُونَ) وإذا جاءت " عسي " على لسان رسول الله– ﷺ– فهي

(١) فتح الباري جـ٥ صـ٤١١ . وسير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي جـ٣ صـ٦٨ .

للأمر الواقع غالبًا [١] ، فما خذل " الله " نبيه قط ، وقد تحقق ما بشره به الرسول – ﷺ – فعاش بعد ذلك قريبا من خمسين عاما [٢] ، وقد تحقق وعد رسول الله . ﷺ . فنفع الله به المسلمين، وفتح " الله " على يديه بلاد فارس وكان رضي الله عنه بطل القادسية [٣] .

ومن جمل الحال التي جاءت مقترنة بالواو ، ما روي عن أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّ مِسْكِينَةً مَرِضَتْ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– بِمَرَضِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– يَعُودُ الْمَسَاكِينَ، وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ–: «إِذَا مَاتَتْ فَآذِنُونِي» ، فَأُخْرِجَ بِجَنَازَتِهَا لَيْلًا، وَكَرِهُوا أَنْ يُوقِظُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– أُخْبِرَ بِالَّذِي كَانَ مِنْهَا، فَقَالَ: «أَلَمْ آمُرْكُمْ أَنْ تُؤْذِنُونِي بِهَا» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَرِهْنَا أَنْ نُوقِظَكَ لَيْلًا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– حَتَّى صَفَّ بِالنَّاسِ عَلَى قَبْرِهَا، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ[٤] .

الرسول – ﷺ– رحيمٌ بأمته ، رفيقٌ بحالهم ، لينٌ الجانب معهم، يراعي فقيرهم ومسكينهم، يعطي كل إنسان ما يستحق ، يقول الله تعالي في وصفه ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] يجبر بخاطر المساكين ويرفق بهم، ذات مرة أخبره أمامة بن سهل رضي الله عنه (أن مسكينة مرضت) ويلحظ أن التنكير للعموم ولا يتعلق به غرض ، أي مسكينة ، فوصل الخبر لرسول الله – ﷺ– أي: أخبره أمامة بمرضها.

---

(١) السابق.

(٢) المرجع والصفحة .

(٣) سير أعلام النبلاء جـ٣ صـ٦٧ .

(٤) سنن النسائي باب الإذن بالجنازة (صحيح) (١٩٠٧) .

وجملة البحث (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- يَعُودُ الْمَسَاكِينَ، وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ) وهذه الرواية أخص، والرواية الأخرى أعم (وَكَانَ الرسول- ﷺ- أَحْسَنَ شَيْءٍ عِيَادَةً لِلْمَرِيضِ) [1] وتركيب الجملة الحالية المقترنة بالواو، والتعبير بالفعل المضارع واستحضار صورته يرسخه في الأذهان، ويدل على تكرار العيادة من رسول البشرية لإمرة مسكينة قد لا يعرفها، وهذا من كمال تواضعه ورقته بحال المرضي، فيه إيناس وتخفيف عنهم ؛ فهم في أمس الحاجة إلى العطف والرحمة، واستحباب السؤال عنهم، وهو درس مستفاد للأمة من معلم البشرية .

ولم يكتف - ﷺ- بالعيادة فقط ، فربما تعذرت العيادة لمرض شديد لا يستطيع أن يراهم، فاتبعه السؤال عنهم (ويسأل عنهم) ففي السؤال تفتيش ودقة في تتبع أخبارهم وحرصهم على متابعة أحوالهم من خلال صحابته الكرام ، وهذا من شفقته ورحمته بأمته - ﷺ-.

فالعطف بين الجملتين يؤكد على تتابع العيادة واستحباب السؤال عنهم ، فإن تعذرت العيادة وجد السؤال ، وهذا يؤكد على مدى الترابط والتلاحم والمحبة بين الناس، فهم بنيان واحد، يربطهم رباط وثيق متين شعاره (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) فانتشار تلك الأخلاقيات يرسخ لعلاقات المحبة والتسامح والعطف التي اندثر بعضها في دنيا الناس، والله المستعان.

ويلحظ اقتران العيادة مع السؤال عنهم، وهذا من حرصه على أمته، وقد ورد في السنة استحباب السؤال عن المريض ، كما مرَّ من سؤال الصحابة للإمام علي- ﷺ- عن حال رسول الله - ﷺ- حين مرض.

---

(١) سنن النسائي، باب عدد التكبير في الجنازة(صحيح) (١٩٨١).

وتأمل صيغة التفضيل في الثانية (أحسن شيء عيادةً للمريض) بطريق التفضيل مع عموم العيادة للمرضي جميعهم، أمَّا في الأولي فحددت (يعود المساكين) وفي هذا مزيد اختصاص بالعناية بأمرهم ، وتقصي أخبارهم جبرًا لخاطرهم، وتلطفًا بحالهم.

وعندما ماتت وكان الرسول – ﷺ– اشترط إذا ماتت فآذنوني، ومن حرصه ورحمته وعطفه صلي الرسول– ﷺ– عليها بعد دفنها ؛ لتنال البركة والمغفرة والرضوان من رب العالمين جل وعلا.

وفي شكوي سيدنا سعد بن عبادة وعيادة الرسول – ﷺ– مع بعض أصحابه ، وقد كان سعد رضي الله عنه قد مرض وأغشي عليه من شدة المرض ، وجملة (اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ) مصدر أو مفعول ، وهذا يبين شدة الشكوى والضعف الذي نزل به.

(فَأَتَاهُ الرسول – ﷺ– يَعُودُهُ) حال من الفاعل أو المفعول، أي: يقصد عيادته– ﷺ– مع بعض أصحابه، والفاء تدل على السرعة والاستجابة على الفور مع الاتيان وما فيه من سهولة ويسر .

وقوله: (فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ) الفاء تعكس السرعة والمبادرة إلى سيدنا سعد بن عبادة ، ليطمئن عليه ، ويؤنسه في حال مرضه ، والغاشية إغماء وتغييب من شدة الوجع.

ولذا بادر الرسول – ﷺ– (فَقَالَ: قَدْ قَضَى) وفيه معنى الاستفهام أي أقد خرج من الدنيا ظن أنه قد مات فسأل عن ذلك ، (قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبَكَى الرسول – ﷺ) إشفاقًا وحزنًا عليه .

(فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ الرسول – ﷺ– بَكَوْا، فَقَالَ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ)، أي: إن الله لا يعاقب الإنسان ولا يجازيه على بكائه وحزنه، لأنهما خارجان عن إرادته " ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم " أي

:وإنما يحاسب الله الإنسان على ما يصدر من لسانه فيعذبه، أو يثيبه بسببه، فإن قال ما يغضب الله من النياحة أو الضجر والجزع عاقبه الله، وإن قال ما يرضي الله من الحمد والاسترجاع أنعم الله عليه في الدنيا بالخلف، وفي الآخرة بالجنة [١].

حينما رأوه يبكى صلى الله عليه وسلم بكوا، وهذا يسمى عند العلماء بكاء المجاورة، فأخبرهم الرسول- ﷺ- ونبههم إلى ما يجوز وما لا يجوز، وصدّر كلامه بأداة التنبيه والاستفتاح (ألا تسمعون)؛ ليوقظ القلوب والأسماع ، إضافة إلى جملة التأكيد ولفظ الجلالة .

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ) بكسر الهمزة استئناف لأهميتها وإبقائها في دائرة الحدث ، أو بيان للمقول المقدر، وفي نسخة بفتح الهمزة، على أنه مفعول به، فالبكاء رحمة من الله تعالي شريطة عدم التضجر وقول ما لا يرضي الله تبارك وتعالي، ففي البكاء تنفيس وشعور طبعي يعتري الإنسان في هذه الأوقات العصيبة .

كما يلحظ الجمع بين الأمر الحسي والمعنوي ، فبين (دمع العين وحزن القلب) صورة معبرة تفصح عن ما يعتري الإنسان من آلام الفقد والحرمان فتظهر على قسمات الوجه ، وانكسار القلب .

وفي بيانه - ﷺ- (وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ) توضيح لأمور تخفي على أمته ، فهو ناصحهم ومربيهم ومصلح من أمرهم بأمثال تلك التوجيهات القويمة لهم ولأمته من بعدهم .

التركيز على جارحة اللسان نعيم الحياة أو عذابها التي قد تدخل الإنسان الجنة أو النار، وحديث سيدنا معاذ رضي الله عنه ليس منا ببعيد- (وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ

---

(١) صحيح البخاري باب البكاء عند المريض (١٣٠٤).

بِهِ؟) [1]، فإذا ذكر ما يرضي الله وأناب إلى خالقه ومولاه كان من الصابرين المحتسبين، وإذا كانت الأخرى فمصيره سخط الله تعالى وعدم الرضا بما قضي الله .

إضاءة

من السنة تخفيف الجلوس عند المريض وعدم الإطالة، وفي الوقت نفسه من الواجب أن يقول المريض لعواده (قوموا عني) ، وذلك لما قد ينزل به من ضيق أو قضاء حاجة مما يسبب له الإحراج والتضجر ، وقد ورد ذلك في سنة الحبيب – ﷺ– فعن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، لَمَّا حُضِرَ النَّبِي عليه السلام وَفِى الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ النَّبي – ﷺ– : (هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ) ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبي عليه السلام قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاخْتِلافَ عِنْدَ النَّبِي – ﷺ– قَالَ: (قُومُوا عنى وَلا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ) [2] .

يلحظ أن الأمر بالقيام هنا للوجوب؛ لأن المريض في أمس الحاجة إلى الراحة ، ويستفاد منه عدم الجلوس الطويل عند المريض، ومنه استنبط العلماء أن المريض إذا اشتد به المرض أنه يجوز أن يقول لزوره قوموا عنى، ويأمرهم بالخروج لينفرد بألطافه ويمرضه من يخف عليه مباشرته له من أهله وذوى رحمة، ولا يعد ذلك جفاء على الزائرين، بل الجفاء منهم طول المكث عنده إذا اشتد مرضه.

وقد ورد من الضعيف قولهم: "العيادة فُواق ناقة"– "أفضل العيادة أجرًا سرعة القيام من عند المريض "– " أغبوا في العيادة وأربعوا" – " أعظم العيادة أجرًا أخفها "[3].

---

(١) مسند أحمد (٢٢٠١٦) وسنن ابن ماجه (٣٩٧٣) و سنن الترمذي(٢٦١٦) (حديث صحيح).

(٢) صحيح البخاري ، باب قول المريض قوموا عني، وباب كتابة العلم (١١٤).

(٣) مرقاة المفاتيح٣/ ١١٥٣ .

"ومما ورد عند بعض التابعين حدثنا مسلمة بن عاصم قال : دخلت على الفراء أعوده فأطلت وألحفت في السؤال ، فقال لي ادن فدنوت فأنشدني:

حَـقُّ الْعِيَادَةِ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ وَجِلْسَةٌ مِثْلُ لَحْظِ الطَّرْفِ بِالْعَيْنِ

لَا تُبْرِمَنَّ مَرِيضًا فِي مَسَائِلِهِ يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْأَلُ مَا بِحَرْفَيْنِ[1]

والملاحظ في هذه الأقوال الضعيفة تخفيف الجلوس عند المريض ، ففي القول الأول " فُواق ناقة " مقدار حلب الناقة ، وهو كناية عن قصر المدة ، ويعضدها ما بعدها من أقول من السرعة والخفة عند المريض لعدم إزعاجه وضيقه بمن حوله، ويراعي قلة الكلام، وعدم مضايقته بكثرة السؤال ، فمن الممكن أن يكون في حاجة لقضاء مهمة أو دخول بيت الخلاء أو أخذ قسط من الراحة وعدم الكلام من أجل الحفاظ على صحته ، وتطبيق تعليمات الطبيب، فيكفيك من جلوسك الاطمئنان عليه بأقل الكلمات ، والدعاء له ببعض الدعوات المأثورات عن سيدنا رسول الله – ﷺ– بذهاب الباس ، وحلول الشفاء ، وفسح الأجل .

ولكن في المقابل من الممكن أن يسعد المريض ببعض الأشخاص الذي يأنس بهم، ويجد راحة في الحديث معهم، فيشعر ببث التفاؤل، وإحياء الأمل، والإقبال على الحياة ، فقد تطول مدة الجلوس عنده حسب حالة المريض، وكلما ينهض بالقيام يستحلفه بالله أن ينتظر معه فترة أطول فلا مانع ، ولكن الأفضل الوسطية والاعتدال في كل شيء ، والسنة الشريفة لم تحدد وقتا معينًا للجلوس عند المريض ، وإنما تخضع وفق حالته وتعليمات الطبيب .

---

(١) فيض القدير ٢/٤٥ .

المبحث السادس

خصائص بلاغية

يدور هذا المحور حول بعض الخصائص البلاغية في الأحاديث ، وذلك من خلال دور الأساليب وتنوعها، وحسن الترتيب في عرض الأحاديث، واقتران عيادة المريض بغيرها من الحقوق، وتنوع أجوبة النبي- ﷺ- وفق أحوال الناس.

أولًا: دور الأساليب وتنوعها في الأحاديث:

تنوعت الأدوات في التعبير عن عيادة المريض، حيث وردت بأساليب الشرط ، والاستفهام، والتحضيض والإرشاد .

والذي استوقفني التنوع في أساليب الشرط ، فمرة يرد الحديث بـ (ما) ، ومرة بـ (من)، بجوار (إذا).

فورد التعبير بـ (إذا) في الأمور المحققة الوقوع ، وهذه دلالة (إذا) كما هو معلوم ، فوردت في سياق حضور الموت والمريض (إذا حضرتم الميت أو المريض).

أمَّا (من) فهي للعاقل، و(ما) لغير العاقل، هذا من جهة، والجهة الأهم وهي محور الحديث أن التعبير بـ (من) يكون الحدث متوجهًا إلى الذات (عائد المريض) دون النظر إلى الصفة (من عاد مريضًا – من أتي أخاه المسلم) .

أمَّا (إذا) فيكون التركيز على(الفعل دون الذات)، ويلحظ ذلك في قوله:(إذا عاد أخاه المسلم).

وفي التعبير بالاستفهام إثارة للمشاعر والوجدان، ومسارعة إلى فعل الخيرات والمبادرة في تحصيلها، ويظهر ذلك في الحديث المفاجئ للصحابة الكرام دون الصديق رضي الله عنه الذي كانت هذه الأفعال ديدنه وخصاله.

(من عاد منكم اليوم مريضًا) فتلحظ أن الاستفهام بـ(من) يتطلب جوابًا مباشرًا ، وذلك من أجل تحفيز الصحابة واستنهاض همتهم للتكثير من تلك الفضائل، وحث الصحابة على المسارعة في الإكثار من الحسنات حين يسأل سؤالًا مباغتًا للرجل الأنصاري، كيف أخي سعد؟ فقال: صالح أي للبرء والمعافاة، ولكن لحرص الرسول- ﷺ- على استنهاض العزائم، وتوطيد العلاقات بين المسلمين، يبادر بسؤال فيه مزيد من الهمة واستفزاز النشاط عن طريق أسلوب الاستفهام مرة ثانية (من يعوده منكم)، ولو جاء بغير الطريق لكان كلامًا مغسولًا ليس فيه تحفيز ولا بث عزيمة ونشاط ، وهذا ما يميز أسلوب الاستفهام عن غيره، لما فيه من غريزة حب الاستطلاع، والتطلع إلى الأفضل وما يقرب من رضي الرحمن، وخصوصا في المسارعة لفعل الخيرات التي يتغافل عنها كثير من الناس في هذا الزمان، فأراد الرسول-ﷺ- أن يغذي بها نفوس الصحابة الكرام وأمته من بعده، وما أحوجنا إلى تلك الهمم والعزائم ونشر تلك الفضائل والمسارعة إلى ما يجلب للناس السعادة عن طريق عيادة المريض والصيام والصدق والصلاة وغير ذلك.

ثانياً: حسن الترتيب في عرض الأحاديث:

الأحاديث النبوية لحمة واحدة يربطها نظام واحد، ومحور جامع، يأخذ بعضه بحجز بعض، فأم الباب في عيادة المريض وإن لم يكن ضمن أحاديث العيادة هو أن المسلم يربطه بأخيه المسلم رباط وثيق متين لا ينقطع علاقة أخوة ونسب ورحم، مهما اختلفت أجناسهم، وتباعدت أقطارهم، لكن تجمعهم كلمة التوحيد، فهم جسد واحد، بنيان واحد، يشد بعضه بعضا، إذا اشتكي منه عضو تأثر الآخر به، يقول الرسول -ﷺ- (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد)، وقوله - ﷺ-(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).

هذا هو الأصل ، فإذا انتقلت إلى أخص من ذلك ، فستجد الحقوق والواجبات لا أقول الإيمانية فحسب بل الإنسانية كذلك ، ألم يَعدْ - ﷺ- غلامًا يهوديًا، وأعرابيًا فيه

قسوة وجلافة.

وقد اجتمعت عدة أحاديث بإثبات تلك الحقوق(حق المسلم على المسلم أربع – خمس– ست) على اختلاف الروايات إشعارًا وتحضيضًا وحثًا على تلك الحقوق .

ثم تأتي الأوامر القولية والفعلية (أمرنا رسول الله بسبع – عودوا المريض) ، وعيادته للمرضي في جملة من الأحاديث (عادني– يعودني– يعود).

ثم التفصيل في ثواب العائد والمريض ، فأولي البشارات التي يحوزها العائد أن الله تعالي عند المريض بلطفه ورحمته وقربه منه ، وفي ذلك ثواب عظيم وخير عميم حيث إن العائد في ضيافة الملك جل جلاله.

ثم بعد ذلك إذا قمت بالعيادة فقل خيرًا ، لماذا؟ لأن الملائكة تؤمن على قولك ، ودعاؤهم مستجاب ، وفي طريقك إلى المريض تدعو لك الملائكة: (طبت وطاب ممشاك)، (ويصلي عليه سبعون ألف ملك في صباحه ومساءه) فهو في طريق واضح إلى الجنة (فإذا جلس غمرته الرحمة واغتمس فيها).

ثم يأتي الفوز العظيم (لم يزل في خرفة الجنة حتي يرجع) فبنيته الصادقة الخالصة يكون في مخارف الجنة يستلذ بكل ما فيها إذا جدد النية، وشدَّ العزيمة، وتجرد لخالقه من الرياء والشماتة؛ لأن من الناس يذهب للشماتة، والتشفي من أجل أمور دنيوية زائلة، والله المستعان.

ثالثاً: اقتران عيادة المريض بغيرها من الحقوق:

عيادة المريض من جملة حقوق حث عليها الشرع الحنيف؛ ليتم الترابط والتآلف بين الناس، ويُضم إليها حقوق أخرى فيحدث التكامل، وتحصيل ثواب الدنيا والآخرة؛ ولذلك اقترنت عيادة المريض بأخلاق أخرى منها: اتباع الجنائز، وإطعام الجائع، والسقيا، وحلول قضاء الله تعالى بالموت، والصيام والصدقة ، وغير ذلك، وأحاديث أخرى وردت في هذا البحث تدل على اقتران العيادة بغيرها من الحقوق.

فأبواب الخير مفتحة، تأخذ بعضها بحجز بعض؛ ليصل المؤمن إلى ذروة سنام الإسلام، وتقديم أعظم تعاليم الإسلام والوصول إلى مرضاة الرحمن في الدنيا والنعيم في الآخرة بتلك الأعمال الصالحة النافعة ، وهذا يرسخ قيم التسامح والأخوة الصادقة ليس بين المسلمين وحدهم، بل بث تلك الروح السامية في الإنسانية .

رابعاً: تنوع أجوبة النبي- ﷺ- وفق أحوال الناس:

يأتي تنوع الجواب من الرسول- ﷺ- لاستيعاب جميع المرضي، وهو المعصوم- ﷺ- أعلم بما يصلحهم وما فيه مراعاة لنفسيتهم وحرصًا على ذهاب ما ألمَّ بهم من تعب ووصب .

فتراه - ﷺ- يدعو لمريض بالشفاء الذي لا يغادر سقمًا ، ولآخر بأن يشفيه ثلاثًا، وزد على ذلك (أن يتمم له هجرته) وذلك من بركة صحبته ومتابعة هديه - ﷺ- ، ولآخر بتكفير الذنوب ومحو الخطايا، ولآخر بالدخول في الإسلام قبل فوات الأوان، ولآخر بالطهور وتكفير الذنوب، ولآخر بالشفاء التام لقتل عدو وإثخان جريح، ومشي إلى صلاة .

كل هذه الإجابات وردت في أحاديث عيادة المريض، وهذا يدل على رحمته ووسعة صدره وشفقته بأمته-ﷺ- فهو الذي لا ينطق عن الهوى ، ووحيه من وحي الخالق جل وعلا.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد تلك الجولة المتأنية في روضة رسول الله – ﷺ– والحديث عن عيادة المريض وما يجب فعله عند عيادته ، توصل البحث إلى بعض هذه **النتائج**:

١ – يأتي أسلوب الشرط مرغبًا في مقدمة الأساليب التي اعتمد عليها الرسول – ﷺ – في بنائه لشخصية المسلم، كما تأتي (من) للعموم ليدخل تحتها جمع كثير من المخاطبين فيعم النفع وتكثر الفائدة، والحديث بـ (من) منصب على الذات دون الفعل ، بخلاف (ما) فإن الفعل في المقام الأول دون الذات.

٢ – الإيجاز في الدعاء؛ لتيسيره وسهولة حفظه وتذكره لاستحضاره عند الدعاء، وكذلك لا يستغرق وقتا كبيرا من العائد، ومراعاة لحال المريض في مقامات لا تتحمل الاطناب.

٣ – تنوع جواب الرسول– ﷺ– لاستيعاب جميع المرضي، فيدعو لكل مريض بما يناسب حاله وظروفه، ويبعث في قلبه التفاؤل والسرور والراحة مع الاقبال على الحياة بروح جديدة

٤ – تكرار الدعاء عند عيادة المريض سمة خاصة تميز هذا النمط ، وفي ذلك دلالة على صحة قلب الداعي، وصدق عبوديته، كما ورد في حديث (اللهم اشف سعدًا ثلاثًا– أسأل الله العظيم رب العرش العظيم سبع مرات أو مرارًا).

٥ – بروز أسلوب القصر بطريق التقديم، والنفي والاستثناء، والتعريف، وهذا لا يتأتى إلا في الأمور المهمة الصعبة التي تحتاج إلى مزيد من التأكيد والتخصيص حرصًا منه على إجابة الدعاء وصدق الرجاء .

٦ – وظف الرسول– ﷺ– الاستفهام بصورة مشوقة تستدعى الانتباه والتأمل الطويل من أجل ترسيخ تلك المفاهيم في قلب الصحابة الكرام وأمته من بعده، فالنفس

الإنسانية تميل إلى الفتور والكسل في بعض الأحيان فيأتي الاستفهام محفزًا ومستفزًا، وذلك في قوله:(من عاد منكم اليوم مريضًا- كيف أخي سعد- من يعوده منكم) .

٧ – يكشف هذا البحث عن اقتران عيادة المريض بالموت والإطعام؛ وفي هذا دلالة على التذكير بالآخرة ، والمسارعة إلى الخيرات، فالمريض يحتاج من يقويه ويبعث فيه الأمل والتفاؤل، والجائع في حاجة إلى من يسد رمقه، وإرواء غلته، وهذه من الحقوق الإنسانية التي بُعث بها معلم البشرية.

كما أوصي جموع الباحثين بالتوجه إلى بعض الحقوق الإنسانية بالدرس البلاغي الأصيل الذي يكشف عن وجوه الإعجاز، وبلاغة الرسول الكريم ومراعاة أحوال الناس، مثل: نصر المظلوم، واتباع الجنائز، وإطعام الجائع ، وغيرها من الحقوق الأخرى التي ترسخ لتلك المبادئ الإنسانية المشتركة بين الناس .

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٣]	٢٦٨٥
٢	﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١]﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف: ١٢]	٢٦٦٩
٣	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠]	٢٦٨٤
٤	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]	٢٧١٣
٥	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٠٦]	٢٦٩١
٦	﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠]	٢٦٩٧
٧	﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[ص: ٨٦]	٢٦٨٥
٨	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [غافر: ٦٠]	٢٦٩٦
٩	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: ١٠]	٢٦٩١
١٠	﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾[نوح: ٢٨]	٢٦٦٩

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١	أتيت الرسول – ﷺ– في دين كان على أبي	٢٦٨٥
٢	إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَيِّتَ، أَوِ الْمَرِيضَ فقولوا خيرًا	٢٦٦٧
٣	إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا	٢٦٧٤
٤	أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا؟	٢٦٧٣
٥	أَمَرَنَا الرسول – ﷺ – بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ	٢٦٥٣
٦	أَنَّ الرسول – ﷺ – أَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ	٢٧٠٥
٧	أَنَّ غُلاَمًا لِيَهُودَ، كَانَ يَخْدُمُ الرسول – ﷺ – فَمَرِضَ	٢٦٥٦
٨	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ	٢٦٩٦
١٠	«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٢٦٨٥
١١	أَنَّ مِسْكِينَةً مَرِضَتْ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – بِمَرَضِهَا	٢٧١٣
١٢	إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ	٢٦٧٦
١٣	إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي	٢٦٦٠
١٤	إِنَّا وَاللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ – ﷺ– فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ	٢٦٥٢
١٥	جاء رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – يَعُودُنِي، وَأَنَا مَرِيضٌ لاَ أَعْقِلُ	٢٧٠٥
١٦	جَاءَنِي الرسول – ﷺ – يَعُودُنِي، لَيْسَ بِرَاكِبِ بَغْلٍ وَلاَ بِرْذَوْنٍ	٢٧٠٥
١٧	حق المسلم على المسلم خمس	٢٦٤٧
١٨	دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ فَوَجَدَهُ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟»	٢٦٨٩

١٩	دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: لا بأس طهور	٢٦٩٣
٢٠	دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ – ﷺ– وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي	٢٦٨٢
٢١	عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – مِنْ وَجَعٍ كَانَ بِعَيْنِي»	٢٦٥٥
٢٢	عادني رسول الله – ﷺ – وأنا مريضة	٢٦٨١
٢٣	عَادَنِي الرسول – ﷺ – عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ مَرَضٍ	٢٧٠٩
٢٤	عُودُوا المَرِيضَ وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ	٢٧٠٨
٢٥	العيادة فُواق ناقة	٢٧١٧
٢٦	أعظم العيادة أجرًا أخفها	٢٧١٧
٢٧	أغبوا في العيادة وأربعوا"	٢٧١٧
٢٨	اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ الرسول – ﷺ – يَعُودُهُ	٢٧٠٦
٢٩	كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ	٢٦٥٩
٣٠	كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –؟، فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا	٢٦٨٧
٣١	لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَرْبَعُ خِلَالٍ	٢٦٥١
٣٢	لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتَّةٌ بِالْمَعْرُوفِ	٢٦٥١
٣٣	لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ	٢٦٨٨
٣٤	لَمَّا حُضِرَ النَّبِي عليه السلام وَفِى الْبَيْتِ رِجَالٌ	٢٧١٧
٣٥	مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم	٢٦٤٧
٣٦	مَنْ أَتَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ عَائِدًا	٢٦٧١
٣٧	مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ	٢٦٦٩

٣٨	مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟	٢٦٨٣
٣٩	مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – وَأَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي	٢٧٠٥
٤٠	مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ	٢٦٧٩
٤١	مَرِضْتُ مَرَضًا، فَأَتَانِي الرسول – ﷺ – يَعُودُنِي	٢٧٠٥
٤٢	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ	٢٦٨٢
٤٣	المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	٢٦٤٧

ثبت المصادر والمراجع

📖 الإتيان والمجيء في القرآن الكريم د/ محمود موسى حمدان مكتبة وهبة ، ط الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

📖 التعريفات ت: علي الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

📖 التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ، الرياض ط الثالثة ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م .

📖 تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ط: دار الكتب العلمية . بيروت . د / ت .

📖 الحديث النبوي " طرقه وأغراضه " د/ بسيوني فيود، مطبعة الحسين الإسلامية ،ط أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .

📖 الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د/ عز الدين السيد، دار اقرأ بيروت. ط الثانية ١٤٠٦هـ.

📖 إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني، دار صادر، ط السابعة ١٤٠٤هـ .

📖 أساليب النفي في القرآن الكريم . د/ أحمد ماهر البقري . دار المعارف ط الثانية ١٩٨٤م.

📖 أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين د/ فتحي حمودة ، دار البيان العربي . جدة . بدون

📖 أسلوب الشرط مواقعه وأسراره البلاغية " دراسة تطبيقية في الصحيحين" الباحث رضا السعيد فايد ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

📖 الإشارات والتنبيهات للجرجاني تح د /عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر – د ت.

📖 الجني الداني في حروف المعاني للمرادي . أ / فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل . مؤسسة الرسالة . بيروت . بدون .

📖 حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ت . د/ عبد الفتاح أبو غدة . نشر مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب – سوريا .ط الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.

📖 الخصائص البلاغية في حديث الرسول عن أهل الكتاب للباحث/ محمد أبو شهبة رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود ٢٠٠٨م.

📖 دلالات التراكيب د / محمد أبو موسي . مكتبة وهبة . ط . الثانية . ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م.

📖 دلائل الإعجاز . للإمام : عبد القاهر الجرجاني . ت / محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ .

📖 دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن علان الصديقي، ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت .

📖 رسالة المباحث المرضية لابن هشام المصري ، ت. د / مازن مبارك ،دار ابن كثير . ط أولى ١٩٨٧م .

📖 سنن ابن ماجة ت / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت (دت).

📖 سنن أبى داود ت / محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت (د ت) .

📖 سنن الترمذي تح: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م مصطفى البابي الحلبي – مصر

📖 سنن النسائي ت / عبد الغفار سليمان ،ط : دار الكتب العلمية. بيروت ط الأولى، ١٤١١هـ .

📖 سير أعلام النبلاء . شمس الدين الذهبي ت د / سيد العفاني و أ/ خيري سعيد. المكتبة التوفيقية . بدون .

📖 صحيح البخاري ، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط: الأولى، ١٤٢٢هـ .

📖 صحيح البخاري بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي بيروت ط الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

📖 صحيح ابن حبان ت/ شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة. بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

📖 صحيح مسلم تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

📖 صحيح مسلم بشرح النووي . للإمام / محي الدين النووي . ت . أ / صلاح عويضة ، و أ/ محمد شحاتة . دار المنار . ط ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م

📖 عون المعبود شرح سنن أبى داود ، دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٠هـ .

📖 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٣ هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ، ط: الخامسة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

📖 عمدة القاري شرح صحيح البخاري ت: بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

📖 فتح الباري لابن حجر العسقلاني ت . الشيخ / عبد العزيز بن الباز و أ / محمد فؤاد عبد الباقي، دار المنار القاهرة ،ط الأولي ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

📖 الفتوحات الربانية لابن علان ،ط: دار إحياء التراث العربي. بيروت .

📖 فيض القدير للمناوي المكتبة التجارية الكبرى– مصر ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.

📖 الكتاب لسيبويه، ت/ أ عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة .

📖 لسان العرب لابن منظور دار صادر – بيروت.

📖 لطائف المعارف ابن رجب الحنبلي، دار ابن حزم ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

📖 مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المباركفوري ط: الثالثة– ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م .

📖 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة علي القاري، دار الفكر بيروت. ط أولي١٤٢٢هـ –٢٠٠٢م .

📖 المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى– ١٤١٢هـ.

📖 معجم الفروق اللغوية أبوهلال العسكري تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

📖 من بلاغة الدعاء في الحديث النبوي أد/ سلامة جمعة داود ط الشروق– الراهبين – دمنهور.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المستخلص	٢٦٤٠
٢	المقدمة	٢٦٤٢
٣	التمهيد	٢٦٤٥
٤	المبحث الأول : أسلوب التحضيض	٢٦٤٧
٥	المبحث الثاني : أسلوب الشرط	٢٦٦٠
٦	المبحث الثالث : أسلوب الاستفهام	٢٦٨٣
٧	المبحث الرابع : أسلوب الدعاء	٢٦٩٦
٨	المبحث الخامس : الجملة الحالية	٢٧٠٥
٩	إضاءة	٢٧١٧
١٠	المبحث السادس : خصائص بلاغية	٢٧١٩
١١	أولًا: دور الأساليب وتنوعها.	٢٧١٩
١٢	ثانيًا: حسن الترتيب في عرض الأحاديث .	٢٧٢٠
١٣	ثالثًا: اقتران عيادة المريض بغيرها من الحقوق.	٢٧٢١
١٤	رابعًا: تنوع أجوبة النبي- ﷺ- وفق أحوال الناس.	٢٧٢٢
١٥	الخاتمة	٢٧٢٣
١٦	فهرس الآيات القرآنية	٥٤
١٧	فهرس الأحاديث النبوية	٥٥

١٨	ثبت المصادر والمراجع	٢٧٢٩
١٩	فهرس الموضوعات	٢٧٣٣